عدد خاص

مجلة - إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

العدد ٤١٠ - السنة الخامسة والثلاثون - صفر ١٤٢٧هـ - الثمن ١٥٠ قرشا

لا إله إلا الله محمد رسول الله

قرآن كريم

سب الرسول صلى الله عليه وسلم سب للأمة

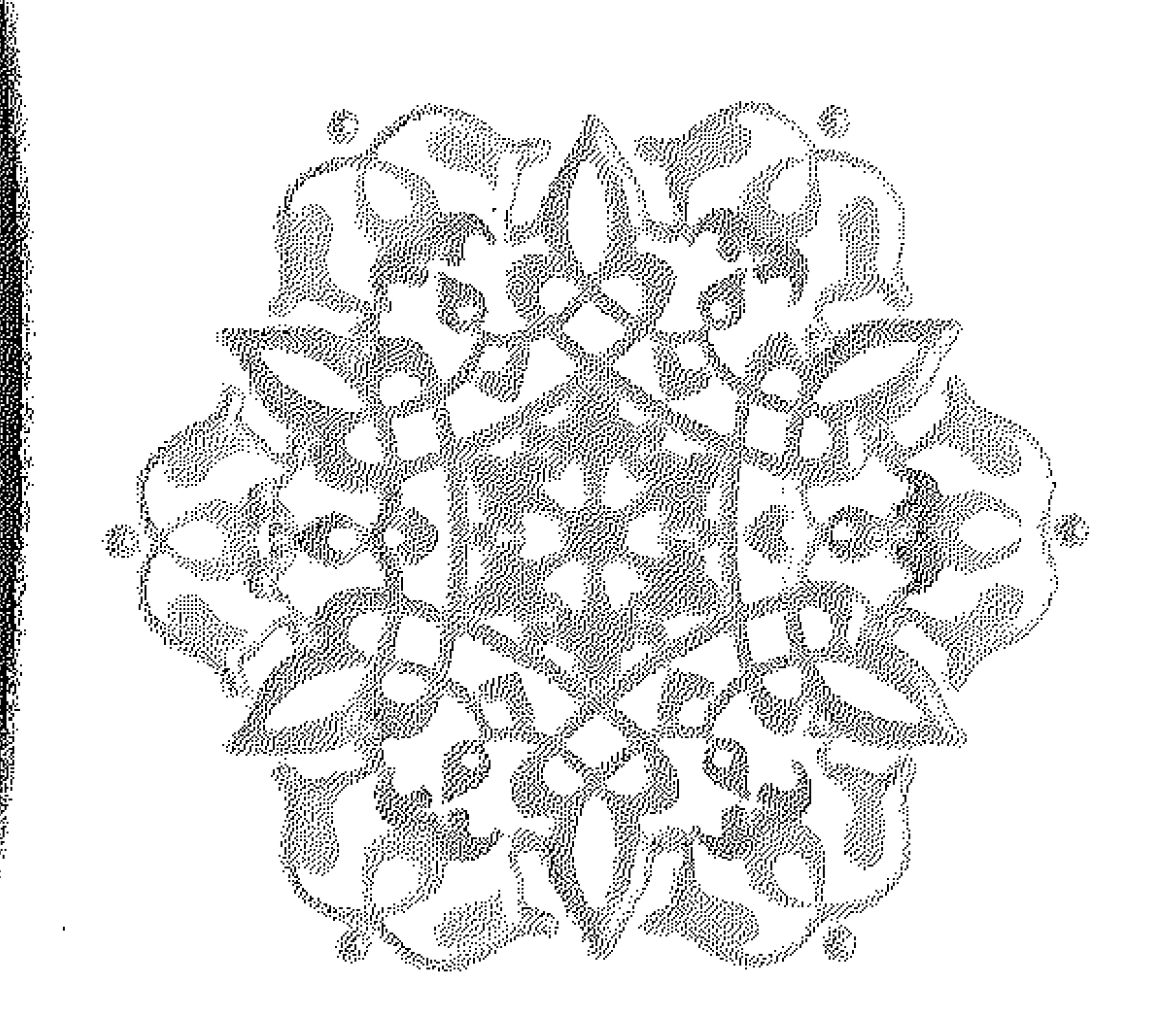
بسم الله الرحمن الرحيم

• صاحبة الامتياز •

جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الخامسة والثلاثون

العدد ٤٠٩ - محرم ١٤٢٧هـ



السلام عليكم

فاعتبروا يا أولي الألباب!!

تكاثرت البلايا مع الخطايا، وأحاطت بالناس المصائب من فوقهم ومن تحت أرجلهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم، وليس ذلك عجيبا ولا غريبًا؛ فهذا قدر الله.

إنما الغريب والعجيب أن يتفرق الناس تجاه هذه الكوارث إلى شيع وأحزاب لا تعرف حكمة رب الأرباب في الثواب والعقاب، فمن الناس من يخرج من أزمة كالتي تُعرف بأنفلوانزا الطيور بأن اللحوم ستكون غالية أضعافًا، والسمك سيتصارع مع الثيران ويشاركها الأوزان والأثمان.

ومن الناس وهم التجار من سيعتبرون أنه قد جاء الموت وخراب الديار، ومنهم من يرى أن ذلك فرج ورزق واسع للقطط والكلاب ولا حسد. ومنهم من سيتحول إلى سارق لتعويض الفارق في الدجاج النافق. ومنهم من سيستفيد من كل هذه المتناقضات ويستغلها بلا تقوى ولا ورع.

والحق والصواب هو قول الوهاب: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى:٣٠].

وقوله: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ [طه:١٢٤].

والله عز وجل يرسل بالآيات تخويفًا لعباده لعلهم يرجعون عن المعاصي، ولكنَّ كثيرًا من المسلمين لا يبالي بهذه الآيات ويصرح بأن هذه ظواهر طبيعية ولا علاقة لها بالمعاصي والذنوب، والرسول ﷺ كان يخاف الآيات ويلجأ إلى ربه يدعوه فهل كان الرسول ﷺ لا يفهم الظواهر الطبيعية؟؟

التحرير

التحرير

٨ شارع قوله - عابدين القاهرة

ت: ٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٣٩١٥٤٥٦

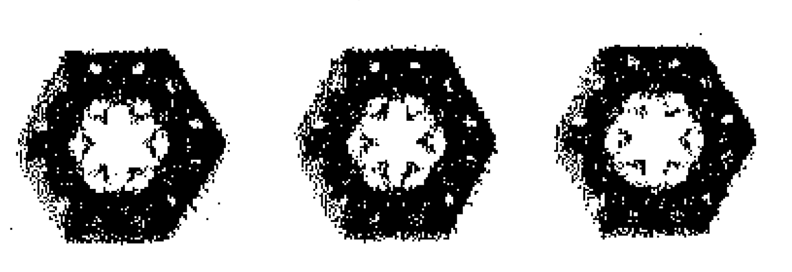
في هذا العدد

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

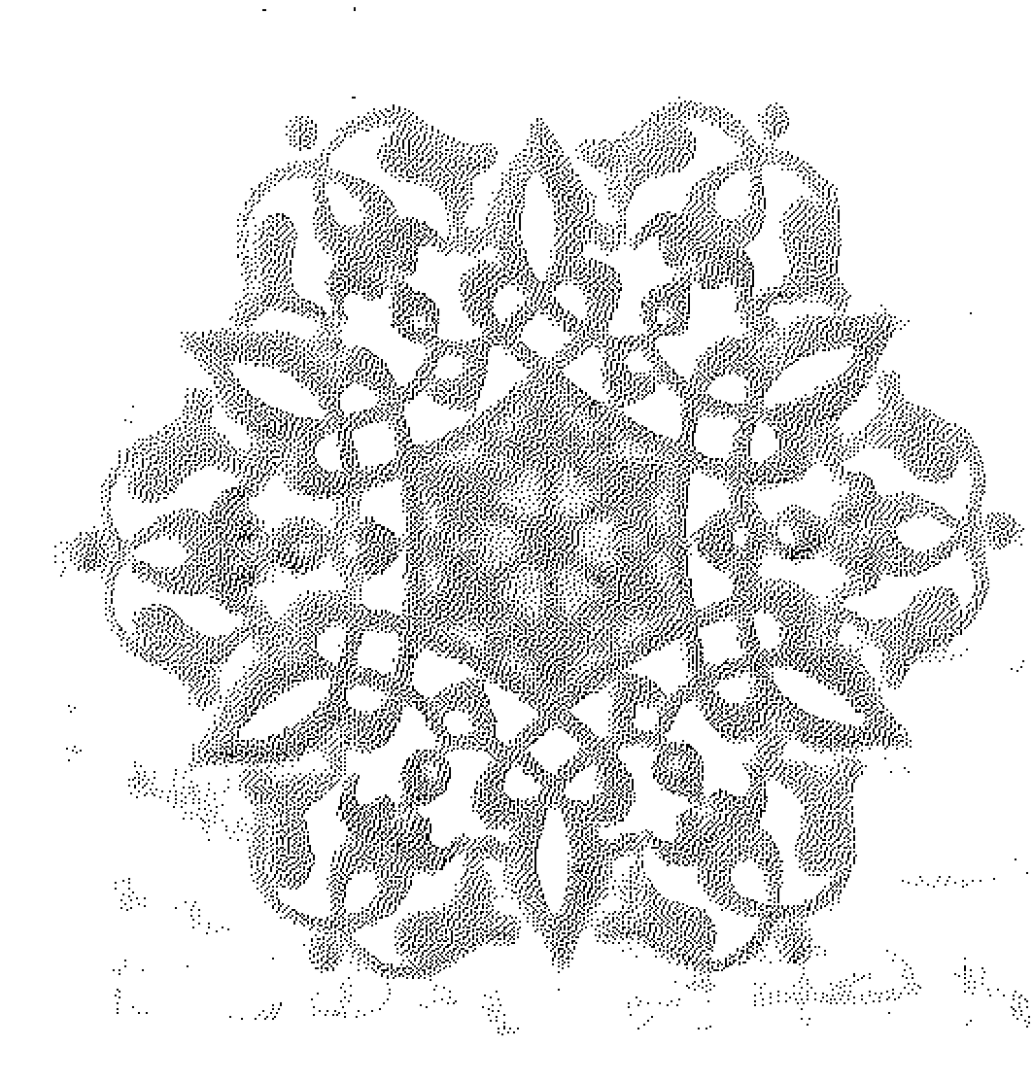
مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط



ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشا، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو.



الاشتراك السنوي:

١- في الداخل ٢٠ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢- في الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

المركز العام

القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين

هاتف: ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

التوزيع الداخلي

مؤسسة الأهرام

وفروع أنصار السنة المحمدية

البريد الإلكتروني

المجلة Mgtawheed@hotmail.com
رئيس التحرير Gshatem@hotmail.com
التوزيع والاشتراكات Ashterakat@hotmail.com
موقع المجلة على الإنترنت www.altawhed.com
موقع المركز العام www.ELsonna.com

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر



العداء الغربيّ

إعداد

د. جمال المراكبي

الرئيس العام

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي المتقين وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على طريقته وانتهج نهجه إلى يوم الدين وعلى رسل الله أجمعين، أما بعد:

فإن أعظم نعمة منَّ الله بها علينا بعثة النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، ختم به النبيين، وأرسله رحمة للعالمين، بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا تحقيقًا لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤].

وتتجلى هذه النعمة وهذه المنة بالنظر إلى حال أهل الدين والإيمان قبل بعثته، وبعد بعثته ﷺ.

فلقد كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعث النبي محمد ﷺ إلى الناس كافة، فأكمل الله تعالى به بنيان النبوة وانتظم عقدها، وفي ذلك تمام النعمة وكمال الدين وإظهاره على الدين كله ولو كره الكافرون والمشركون.

قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة. قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين». [متفق عليه]

وقد جعل المولى تبارك وتعالى الكتاب الذي أنزله على محمد ﷺ حكمًا ومُهَيْمِنًا على ما أنزل من وحيه على النبيين من قبله، وجعل شرعه ناسخًا لشرائع النبيين من قبله، وجعله تامًا كاملا بينًا فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

والإسلام هو دين الأنبياء جميعًا، أتمه الله وأكمله لعباده على لسان خاتم رسله، ولم يرض من أحد عبودية لسواه فقال ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران:١٩].

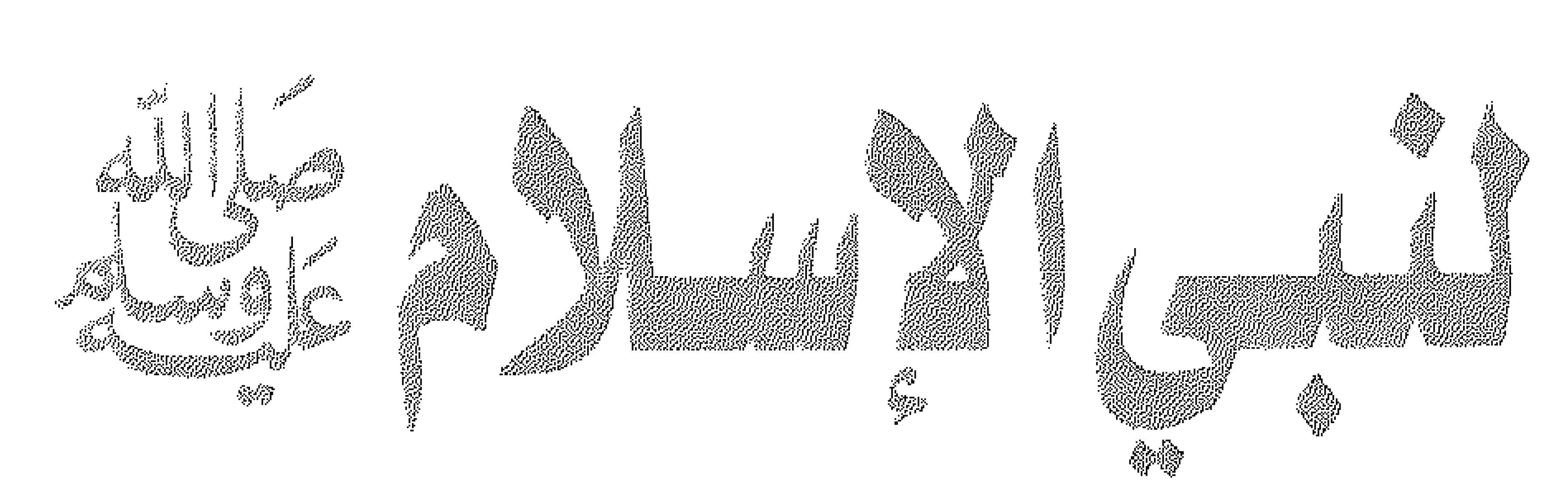
وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

ولا يعذر أحد من البشر أعرض عن هذا الدين بعد بلوغه إياه ولا يقبل منه إلا أن يكون من المؤمنين كما قال نبينا ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة - يعني أمة الدعوة، وهو كل من بلغته هذه الدعوة - يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرْسِلْتُ به إلا كان من أصحاب النار». [مسلم ك الإيمان ح٢٤٠]

إظهار الدين

وقد أظهر الله دينه، وأعز المؤمنين من عباده بنصر هذا النبي وتاييده، بما لم يكن للأنبياء والمرسلين من قبله فهذا خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام بعد أن أقام الحجة على قومه، لم يؤمن له إلا زوجته سارة، وابن أخيه لوط قال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت:٢٦].

وهذا كليم الله موسى يدعو قومه إلى الجهاد في سبيل الله فيقول له قومه ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤] وهذا كلمة الله المسيح عيسى بن مريم يدعو بني إسرائيل إلى الإيمان به ويبشرهم ببعثة النبي الخاتم الذي يتم الظهور على يديه فيقول: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].



لقد كان حال المؤمنين قبل بعثة محمد ﷺ في غاية الضعف ولم يعرف بنو إسرائيل التمكين إلا في ملك داود وسليمان ثم كان المؤمنون يتواصون بالإيمان ببعثة النبي الخاتم ويبشرون به لما أخذ الله العهد عليهم وعلى أنبيائهم بالإيمان به ونصره كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران:٨١].

وقد عبر النبي ﷺ عن حال الناس قبل بعثته فقال: «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب».

[مسلم ك الجنة ح٢٨٦٥]

وكانت هذه البقايا من أهل الإيمان - وعددهم لا يكاد يذكر - تعيش في عالم مقيت قد أطبق أهله على الشرك والظلم والجاهلية ومن يطالع قصة سلمان الفارسي قبل إسلامه يعلم أن بعض قساوسة النصارى كانوا على الحق، بينما كان غيرهم في جاهلية وشر، وكان من أهل الحق في جزيرة العرب زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل، ولكن هؤلاء جميعا لم يكونوا ظاهرين بالدين ولم يُظهر الله الدين على الدين كله إلا بنصر محمد بن عبد الله رسول الله إلى الناس كافة.

حقوق النبي ﷺ

لأجل هذا كان للنبي ﷺ حقوقٌ على الناس، من هذه الحقوق: وجوب الإيمان به ووجوب طاعته واتباع هديه وسنته. قال ربنا عز وجل: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الإحزاب:٢١].

ومن هذه الحقوق التي للنبي ﷺ لزوم محبته ﷺ وتقديم محبته على محبة المال والأهل والوالد والولد والنفس لأن محبته من محبة الله عز وجل. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة:٢٤].

وقد أكد النبي ﷺ على هذا المعنى في قوله: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

[متفق عليه]

فانظر أخي الكريم هل يوجد شخص يجب على كل مؤمن أن يحبه أكثر من محبته لنفسه وللناس أجمعين إلا رسول الله ﷺ، وما ذلك إلا لأنه أولى بكل مؤمن من نفسه كما قال تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٦] ويلزم من هذه الأولوية تمام الحب والطاعة والانقياد ومحبة النبي ﷺ فرع عن محبة الله عز وجل لأنه هو الذي بعثه واصطفاه، وليس للخلق محبة أعظم ولا أتم من محبة المؤمنين لربهم، وليس في الوجود من يستحق أن يحب لذاته من كل وجه إلا الله تعالى، وكل ما يحب بعد الله عز وجل فمحبته تبع لحب الله عز وجل ولهذا كان النبي ﷺ إنما يُحَب لأجل الله، ويُطاع لأجل الله، ويتبع لأجل الله عز وجل.

ومن حقوق النبي ﷺ على العباد وجوب طاعته واتباع هديه وسنته، ونحن لا نكاد نعرف بشرًا أوجب الله على العباد أن يتخذوه أسوة وقدوة غير محمد ﷺ لأنه ﷺ اقتدى بإخوانه من النبيين والمرسلين الذين هداهم الله واصطفاهم، فصار بذلك مجمع الأسوة والقدوة، ويسر الله عز وجل للأمة فنقلت هديه وشمائله وأخلاقه لكي يقتدي به كل مؤمن، فهذا بلال بن رباح مؤذن النبي ﷺ تحضره الوفاة، فتقول امرأته: واكرباه فيقول بلال: وافرحاه، غدًا ألقى الأحبة محمدًا وحزبه. فمزج مرارة سكرات الموت بحلاوة الشوق إلى لقاء الأحبة ولله عز وجل في قلب المؤمن من المحبة والطاعة والتعظيم والشوق إلى لقائه وجنته أعظم لأي أحد، ولهذا علمنا حبيبنا محمد ﷺ أن نقول في صلاتنا: «ونسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين». [النسائي وأحمد]

ومما يجب علينا تجاه النبي الخاتم أن نعرف له قدره ومنزلته عند الله فيكون في قلوبنا معظمًا موقرًا فلا نتقدم بين يدي الله ورسوله في شيء من الأمور بل نكون تابعين مستسلمين وأن نغض أصواتنا عند رسول الله ﷺ وألا نجهر له بالقول كجهر بعضنا لبعض، وقد كان سادات المتقين يراعون ذلك في الحديث عنه والرواية عنه صلوات ربي وسلامه عليه.

إن رجلا هذا حاله، وهذه درجته ومنزلته لابد أن يقدره قدره كل منصف، ولهذا كان المنصفون من الناس يعرفون له هذا القدر وهذا التأثير العظيم في تاريخ البشرية، حتى من لم يفتح الله للهداية قلبه من غير المسلمين إن كان منصفاً فإنه لا يملك ألا أن يعلن تقديره لهذه الشخصية العظيمة الأثر في التاريخ البشري كله، وكتابات المنصفين من غير المسلمين كثيرة فهذا كاتب أميركي يكتب عن العظماء في تاريخ البشرية، ومعيار العظمة عنده القدرة على التأثير والتغيير في المجتمع البشري فيدون كتابه مائة شخص أثروا في تاريخ البشر، فيرى أن محمداً ﷺ هو الأول والأعظم تأثيراً على مر العصور ويجعل في المرتبة الثانية بولس الذي أسس دين النصرانية المبدل، ويجعل المسيح في المرتبة الثالثة ويربطه بالثاني لأن الدين عندهم يرجع إلى جهود الثاني، والنصارى في العالم اليوم يدينون بما سطره لهم هذا المبدل، فمحمد ﷺ غير شكل الأرض وأثر في أهلها حتى إن أكثر من مليار مسلم يعظمونه وبولس غير شكل الأرض وأثر في أهلها حتى إن أكثر من مليار مسيحي يتابعونه، ولكن شتان بين من غير دين المسيح وبدله وتحالف مع الشيطان الرجيم لإضلال أهل الأرض، وبين من بشر به المسيح فأحيا دعوة النبيين والمرسلين وأظهر الله به الدين.

هذا هو نبينا محمد ﷺ كما يراه كل عاقل منصف، آمن به أم لم يؤمن، ولكن السفهاء من الناس الذين استحوذ عليهم الشيطان يأبون هذا الإنصاف، ويدفعهم التعصب المقيت للنيل من مقام الرسول ومحاولة الطعن فيه، يدفعهم إلى هذا المنهج شياطين من الإنس والجن فتعمى أبصارهم بعد أن عميت منهم القلوب والبصائر، فتراهم يقلبون حقائق الأمور، فالجهاد في سبيل الله وإظهار دين الله عز وجل على الدين كله يراه أولئك نشراً للدين بالسيف وإكراها للناس على الإيمان، وينسون أن محمداً ﷺ نزل عليه قول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦] وينسون أن واقعهم في تكذيبه وعدم الإيمان به ينفي شبهة الإكراه، ولو أكره النبي ﷺ والمسلمون من بعده الناس فكيف بقي هؤلاء علي دينهم في ذمة أهل الإسلام وفي حمايتهم، ولكنهم يسوءهم أن يعز الله دينه ورسوله فيخبطون ويكذبون.

لقد رأينا تلك الفزعة التي هزت المسلمين على اختلاف ألوانهم وألسنتهم حين نشر بعض السفهاء رسوماً كاريكاتيرية يسيئون فيها لمقام خاتم النبيين صلوات ربي وسلامه عليه وكيف غضب المسلمون، ودعوا إلى مقاطعة اقتصاديات الباغين المعتدين في الدنمارك والنرويج وغيرهما ممن أساء إلى رسول الله ﷺ، ولقد أثرت تلك الغضبة في الناس تأثيراً عجيباً، فحملت المخالفين على الدهشة والعجب وفتحت الباب للمغيبين من غير المسلمين ليروا عظمة هذا النبي ومدى تأثيره في أمة ظنوا أنها ماتت من قرون طويلة ولكنها بفضل الله لن تموت وفيها طائفة تتمسك بهدي النبي ﷺ وتحيي سنته، ولاشك أن الكثيرين من المغيبين ستتغير فكرتهم عن هذا الدين وهذا النبي وقد يفتح الله لهم أبواب الهداية، ورب ضارة نافعة ولكنها أيضا زادت من حدة السفاهة لدى السفهاء الذين يزعمون أنها الحرية، حتى رأينا بعض هؤلاء السفهاء يتصرف بغير عقل أو وعي، وتنتقل عدوى السفاهة عبر القارة الأوربية وتتسلل إلى بعض وسائل الإعلام العربية، ولكن خوف الناس من غضبة المسلمين ويقظة المسلمين مازال غالبا ولله الحمد.

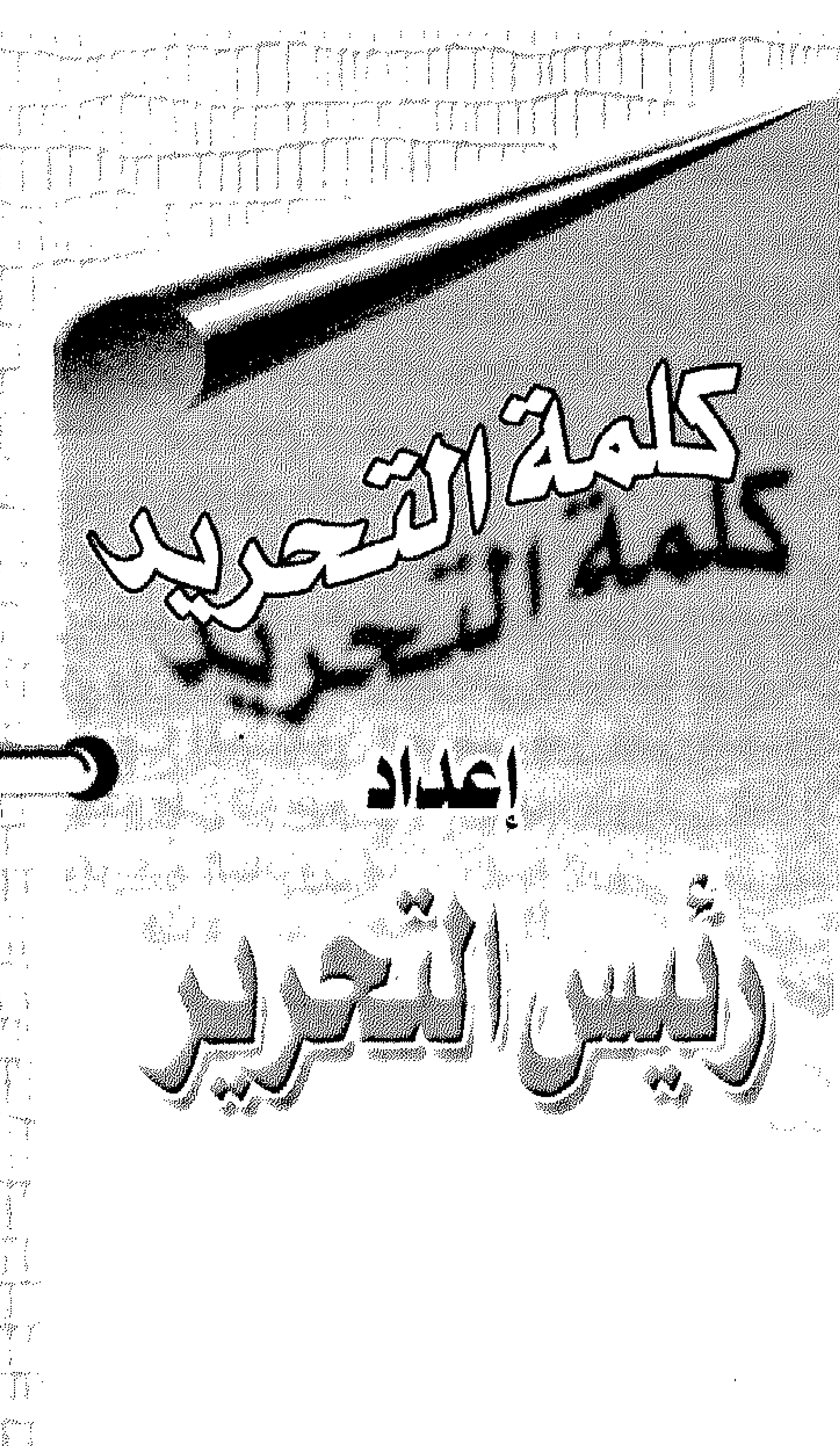
وبالأمس القريب قام وزير إيطالي سفيه يهدد بنشر الرسوم المسيئة لا في صحيفة ولا في لوحة ولكن برسمها على قميص يرتديه، ولكن رئيس الوزراء الإيطالي طالب بعزله، فقدم هذا السفيه استقالته.

ولأجل هذا السفيه قامت مظاهرة في ليبيا أحرق المتظاهرون جزءًا من القنصلية الإيطالية ببنغازي وقتل عشرة وفي أوروبا بدأ المفكرون والساسة يعلنون أن أوروبا تواجه أزمة في هويتها بسبب غلبة العلمانية وتنكرها للمسيحية وكثرة الوافدين من المسلمين إليها حتى قال بعضهم إن الشعب الانجليزي أدار ظهره للمسيحية، وقال البعض إن المسلمين سيصبحون أغلبية في هولندا في سنة ٢٠٣٠م وهذا الذي يخشونه ويخافون منه سيتحقق بإذن الله عز وجل وأحاديث النبي ﷺ في الفتن والملاحم تؤكد ذلك.

المهم أن نستثمر هذه الغضبة في تحقيق اليقظة وترك الغفلة، إذا كانت المقاطعة تؤلمهم، والمظاهرات تغضبهم، فإن أعظم من ذلك نكاية فيهم أن نكون على هدي الحبيب وأن نحيي سنته فبها تستيقظ هذه الأمة من سباتها.

وما ذلك على الله بعزيز.

والله من وراء القصد. وهو الهادي إلى سواء السبيل







الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمًا عدادًا، وبعث فينا سراجًا وهّاجًا، فاللهم إنا نشهدك على حبك، وحبِّ نبيك محمد ﷺ، ونشهدك أنه أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا ووالدينا وأموالنا، ونبرأ إليك مما فعل الكافرون بجناب نبيك وصفيك ﷺ، وبعد:

إن المتأمل بعين ثاقبة وقلب يَقظ لما يدور حولنا من كوارث ونكبات.. ومحن وعظات.. ليحاول أن يسترجع هذه الآيات والحوادث والنوازل التي تحل بالأمة، أمراض مستأصلة، وأوبئة منتشرة، تحملها طيور، وتنقلها حيوانات، لا يملك أحد ردها أو صدها أو السيطرة عليها مهما أوتي من علم في مكتشفاته ومختبراته ومخترعاته وأرصدته، لأنها جند من جنود الله عز وجل في البر والبحر: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١].

وإن من حق كل مسلم غيور على دينه، محب لرسوله المصطفى ﷺ، أن يعبر عن فرحته الغامرة، بهذه الهبّة الإسلامية من الأمة المحمدية، دفاعًا رائعًا عن خير البرية، ومع توالي النكبات، وكثرة الطعنات التي تُوجه إلى صدر الأمة من أعداء الإسلام، وممن أعلنوا الحرب الصليبية على الإسلام جلية واضحة، دون مهادنة، إلاَّ أننا نجد روحًا جديدة تسري في جسد الأمة؛ تذكرنا بحديث المصطفى ﷺ: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».

في هبّة الغيرة على حبّ النبي ﷺ، تكاتفت الأمة، وتداعت إلى الحقّ، فرب ضارّة نافعة، فالمسلمون لم يصلوا مرحلة الغثاء بعد، ولم يعد بوسع أعداء الإسلام أن يتجاهلوا هذه الأمة، وأن يتجرءوا على مشاعرها !!

الحرية الزائفة.. ومذبحة الهولوكست !!

وإذا كان الغرب - أدعياء الحرية الزائفة - قد كشفوا عن وجههم القبيح... وصالوا وجالوا في دول العالم يوزعون الاتهامات... ويحاسبون المقصرين ممن ينتسبون إليهم ويتلقون تعليماتهم.. وبالأمس القريب يصدر الحكم على الكاتب والمؤرخ البريطاني «إيرلي» بالحبس ثلاث سنوات لمجرد إدانته بإنكار المحرقة اليهودية والتشكيك في تعداد من قُتلوا في محرقة النازي ضد اليهود إنها الحرية الأمريكية؛ تمامًا كما فعلت وما تزال في العراق تحت وهم تصدير الحرية وإحلال الديمقراطية الأمريكية ديمقراطية رعاة البقر والعنصريين الغربيين !!

كلمة التحرير

أدعياء الحرية الزائفة قد كشفوا عن وجههم القبيح، وصالوا وجالوا في دول العالم يوزعون الاتهامات، ويحاسبون المقصرين ممن ينتسبون إليهم ويتلقون تعليماتهم..

فالآن تضع الإساءة الأوربية والحدث الشنيع الذي سخر من نبينا ﷺ واستهزأ به قيمة الحرية الزائفة في محاكمة تكشف عن الخزي والعار، فأين حرية الرأي وأياديكم ملطخة بالدماء.. في أبشع صور كشفت عن تصرف تتري هجمي، وإن شئت دقة في التعبير فإنه تصرف حيوانات مسعورة فقدت كل المشاعر، ومن قبلها ماتت الضمائر في سجن أبو غريب، بل في كل بقعة من أرض العراق وفلسطين وأفغانستان، وإن أردت الحقيقة ففي كل بقعة من أرض المسلمين دنسها المحتلون العنصريون ممن عميت بصائرهم، وخُتم على قلوبهم، وأسماعهم، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

هذا هو النبي محمد ﷺ !!

لقد بعث الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، بعثه الله في الأميين على حين فترة من الرسل: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

ولقد علم الله سبحانه، وهو اللطيف الخبير، أن الرسول المبعوث من قِبَله لابدّ أن يكون موصوفًا بكريم الأخلاق وجميل الصفات حتى يُقبل الناسُ عليه، ويتعلموا منه، لذلك وضع في شخص محمد ﷺ الصورة الكاملة للشخصية المسلمة التي يريدها الله تعالى، لتظل دائمًا صورة حية خالدة مرئية لكل من أراد أن ينهج نهج الإسلام، ويتبع النبي عليه الصلاة والسلام، وجعله الله القدوة الطيبة، والأسوة الحسنة، والمثل الأعلى، والإمام الأعظم، فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

النبي ﷺ الأسوة

فهو الأسوة الحسنة ﷺ في عبادة الله عز وجل، فلقد كان أعلم الناس بالله، وأتقاهم له وأخشاهم ومع ذلك كان يصوم ويفطر، ويقوم ويرقد، ويأتي النساء، ولم يؤثر ذلك في كونه أعبد الناس؛ ولذلك لما جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا بها كأنهم تقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟! فقال أحدهم: أما أنا فأصوم الدهر لا أفطر. وقال الثاني: وأنا أقوم الليل لا أرقد. وقال الثالث: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فبلغ ذلك النبي ﷺ، فخرج إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأقوم وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

[متفق عليه]

وقد أرسلت إليه إحدى بناته تقول له: «إن ابني قد

احتُضر فاشهدنا، فارسل إليها يقول: «إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمُرها فلتصبر ولتحتسب». فأرسلت تحلف عليه ليأتينّها، فقام ومعه نفر من أصحابه، فرُفع إليه الصبيُّ ونَفْسُه تُقَعْقِعُ، ففاضت عيناه، فقال بعض أصحابه: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب من شاء من عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء». [متفق عليه]

وهو ﷺ الأسوة الحسنة في الصبر على موت الأولاد؛ فقد رُزق سبعة من الولد؛ ثلاثة ذكور، وأربع إناث، مات الصبيانَ الثلاثة صغارًا، وماتت ثلاث بناتٍ في حياته ﷺ، ولم تعمّر بعدَهُ إلا فاطمة، رضي الله عنها، فإنها عاشت بعده ستة أشهر، فصبر على موت أولاده واحتسبهم عند الله رب العالمين.

وكان ﷺ الأسوة الحسنة في معاملة الجيران، وكان يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه». [متفق عليه]

وهو ﷺ الأسوة الحسنة في معاملة الناس؛ فلقد باع واشترى، وكان سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، وكان إذا استسلف من رجل سلفًا قضاه إياه ودعا له، فقال: «بارك الله لك في أهلك ومالك، إنما جزاء السلف الحمد والأداء». حديث حسن أخرجه النسائي وابن ماجه.

وكان ﷺ الأسوة الحسنة في التواضع؛ فلقد كانت الأَمَةُ من إماء المدينة تأخذ بيده فتنطلق به حيث شاءت فما يتركها حتى يقضي لها حاجتها. [رواه البخاري]

وكان إذا دخل عليهم لا يقومون له لما يعلمون من كراهيته لذلك. [حديث صحيح]

وهو ﷺ الأسوة الحسنة في الشجاعة؛ فلقد دوى صوت في المدينة ذات ليلة، فهرع الناس إليه، فلقيهم رسول الله ﷺ وهو يقول: «لم تراعوا». [متفق عليه]

وهو ﷺ الأسوة الحسنة في السلم والحرب، واحترام العهود، والوفاء بها؛ دخل ﷺ المدينة رافعًا رأيه السلام، ودخل يقول: «يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام». [حديث صحيح]

الأخلاق المحمدية

لم يُكتب لأحد من البشر من الأثر والخلود والعظمة ما كتب لصاحب الخلق العظيم ﷺ، وإن لذوي الأخلاق الفاضلة منزلة عالية، ففي الحديث الصحيح: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا». [رواه احمد والترمذي]

وقال ﷺ: «إن من خياركم أحاسنكم أخلاقًا». [البخاري ومسلم]

وسُئل ﷺ عن البر؛ فقال: «حسن الخلق». [اخرجه مسلم]

وكان ﷺ أحسن الناس خلقًا وأدبًا وأكرمهم وأتقاهم

لقد علم الله سبحانه، وهو اللطيف الخبير، أن الرسول المبعوث من قِبَله لابدّ أن يكون موصوفًا بكريم الأخلاق وجميل الصفات حتى يُقبل الناسُ عليه، ويتعلموا منه، لذلك وضع في شخص محمد ﷺ الصورة الكاملة للشخصية المسلمة التي يريدها الله تعالى

المثل في حسن الصحبة وجميل المعاشرة وأدب المخالطة، وكان ﷺ يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم، ويجلسهم في حِجره، ويجيب دعوة الحرّ والعبد والأمة والمسكين ويعود المرضى أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر

معاملة، قال عنه ربه عز وجل مادحًا خلقه الكريم ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وعن عائشة رضي الله عنها لما سُئلت عن خلق النبي ﷺ قالت: «كان خُلقه القرآن». [صحيح مسلم]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان ﷺ يدعو فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق». [رواه أبو داود والنسائي]

كرمه ﷺ

كان كرمه مضرب الأمثال، وقد كان ﷺ لا يردّ سائلاً وهو واجد ما يعطيه، فقد سأله رجل حُلّةً كان يلبسها، فدخل بيته فخلعها، ثم خرج بها في يديه وأعطاه إياها. وفي صحيح البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «ما سُئل رسول الله ﷺ شيئًا على الإسلام إلا أعطاه»، وحسبنا في الاستدلال على كرم رسول الله ﷺ حديث البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقد سئل عن جود الرسول ﷺ وكرمه فقال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل بالوحي فيدارسه القرآن، ولِمَ لا وهو القائل: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان يقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا». [البخاري ومسلم]

حلمه وصبره ﷺ

كان ﷺ في ذلك مضرب المثل، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك ثم أمر له بعطاء». [رواه البخاري ومسلم]

عفوه ﷺ

وقد أمر الله تعالى به رسوله الكريم في قوله من سورة الأعراف: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَهْ مَهْ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزرموه، دعوه»، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة، وقراءة القرآن، قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنّه عليه». [رواه مسلم]

عدله ﷺ

أمر الله بالعدل في القول والحكم، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾، ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾، وعلى العدل قام أمر السماء والأرض، فكيف لا يكون رسول الله ﷺ عادلاً وهو القائل: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط». [رواه ابو داود، وحسنه الألباني]

وذكر أن سبعة يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، وعد منهم الإمام العادل، وقال: «إن المقسطين على منابر من نور يوم القيامة». [رواه مسلم]

أخلاق النبي ﷺ مع الأطفال

فعن أنس رضي الله عنه قال: كان ﷺ يمر بالصبيان فيسلم عليهم. [رواه البخاري]، وكان ﷺ يقول: «إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه». [البخاري]

حسن معاملته وعشرته ﷺ

إن من كمال خلق المرء حسن صحبته ومعاشرته لأهله وكمال أدبه في مخالطته لغيره، وقد كان الحبيب ﷺ مضرب المثل في حسن الصحبة وجميل المعاشرة وأدب المخالطة، وكان ﷺ يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم، ويجلسهم في حجره، ويجيب دعوة الحرّ والعبد والمسكين ويعود المرضى أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر.

وحسبنا في جميل مخالطته وبيان أدبه وحسن عشرته ﷺ قول ربه عز وجل فيه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾، وقد فعل ﷺ، فجزاه الله عن أمته خير الجزاء.

تواضعه ﷺ

وقد أخبر ﷺ أنه خُيِّر بين أن يكون نبيًا ملكًا، أو نبيًا عبدًا، فاختار أن يكون نبيًا عبدًا، وأخبر أن الله تعالى كافأه على اختياره العبودية بأن يكون سيد ولد آدم، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، فاختياره العبودية على الملك أكبر مظهر من مظاهر التواضع المحمدي.

قال ﷺ في الحديث الصحيح: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم: وإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله».

وكان ﷺ سيد المتواضعين، يتخلق ويتمثل بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

وهذا فيض من غيض، فداك أبي وأمي وأهلي ونفسي يا رسول الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

لم يُكتب لأحد من البشر من الأثر والخلود والعظمة ما كتب لصاحب النسب الشريف ﷺ

وكان ﷺ أحسن الناس خلقًا وأدبًا وأكرمهم وأتقاهم معاملة



الحلقة الثانية

سورة المدثر

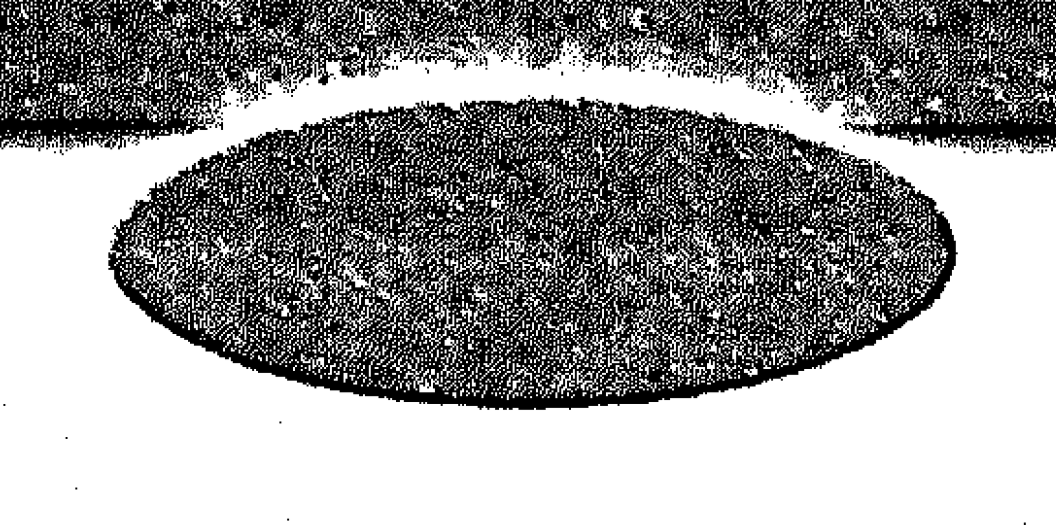
قال تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا
(١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ
شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ
يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا
عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ
وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ
كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ
وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ
إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ
الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ
مَا سَقَرُ (٢٧) لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ
لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا
جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا
جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا
لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ
الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ
بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ
هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾

[المدثر: ١١- ٣٠]

جاء في سبب نزول هذه الآيات: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ النبي ﷺ عليه القرآن، فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عمّ، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً، قال: لِمَ ؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمدًا لتعرض لما قِبَلَه. قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغُ قومك أنك منكرٌ له، أو أنك كارهٌ له. قال: وماذا أقول، فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزٍ ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجنّ، والله ما يشبهُ الذي يقول شيئًا من هذا، والله إن لقوله الذي يقولُ حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمرٌ أعلاه، مُغْدِقٌ أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلى، وإنه يحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدَعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحرٌ يؤثر، يأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾.

[صحيح: رواه الحاكم ٥٠٧/٢، والبيهقي ٥٥٦/١]

أي: خلّ بيني يا محمد وبين هذا المخلوق الضعيف، الذي أخرجته من بطن أمه وحيدًا، ليس معه شيءٌ مما يعتز به الآن، ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا﴾ أي: واسعًا كثيرًا، ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ قال المفسرون: أعطاه عشرة من الذكور، ولم يكن بحاجة إلى عملهم لكثرة ماله، فأقعدهم عنده يستأنس بهم، وضارب العمال بماله، فكان العمال يعملون له، ويأتون بكسبه،



إعداد / د. عبد العظيم بدوي

وأولاده عند رأسه لا يفارقونه، وهذه نعمٌ عظيمة، إلا أنه كفرها.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴾ أي يسرت له الحياة، ومكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك، ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ وهو لَمْ يعمل بموجب الزيادة، إن الله تعالى أنعم على عباده نعمًا لا تعدّ ولا تُحصى، وأرشدهم إلى سبيل الزيادة من هذه النعم، فقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم:٧].

وهذا الملعون كفر بأنعم الله، ثم يطمع أن يزيده الله، قال تعالى: «كلاّ» وهي كلمةُ زجرٍ وردع، «كلاّ» لن أزيده، وكيف أزيده مع ﴿ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴾، فقد كفر بآيات الله بعد إذ جاءته، وكذب بما علم أنه الحق فعاند دلائل الحقّ وموجبات الإيمان، ووقف في وجه الدعوة وحارب رسولها، وصدّ عنها نفسه وغيره، وأطلق حواليها الأضاليل.

وهكذا الكفار دائمًا، لا يحملهم على الكفر إلا البغي والحسد والعناد، كما قال تعالى عن فرعون وملئه ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٣، ١٤].

ولذا قال موسى عليه السلام لفرعون: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء:١٠٢].

وقال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

وبعد هذا الردع يأتي الوعيد الشديد، الذي يبدل اليسر عسرًا، والتمهيد مشقة: ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾ أي سأتعبه بما أكلفه به من صعود جبل في جهنم، والصعود في طرقات الدنيا شاقّ، فكيف بصعود جبلٍ في جهنم، لا خبرة للإنسان في صعوده، وإنما يُدفع إليه دفعًا؟

ولم هذا الوعيد ؟ ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ أي: إنما أرهقناه صعودًا لأنه حين طُلب منه أن يقول في القرآن «فكّر» ماذا يقول، «وقدّر» أي تروى في التفكير، ومن ثمّ دعا اللهُ عليه بالهلاك، ودعاءُ الله قضاءٌ محكمٌ: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾، ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ أي أعاد النظرة والتروي، ﴿ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ أي قبض بين عينيه وقطب جبينه كالمفكر في أمر يهمه، ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ أي صُرِفَ عن الحق، ورجع القهقري مستكبرًا عن الانقياد للقرآن، «فقال» بعد هذا التفكير الطويل: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ أي: إن هذا إلا سحرٌ ينقله محمدٌ عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ وما هو من عند الله، قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ أي سأغمره فيها من جميع جهاته، كما قال تعالى عن أهل النار: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الزمر: ١٦].

وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف:٢٩]، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾؟ هذا سؤالٌ لتهويل أمرها وتفخيم شأنها: ﴿لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ﴾ أي لا تُبقي ممن يدخلها لحمًا ولا عظمًا، ولا تذر منهم شيئًا أبدًا، إنما تنسفهم نسفا، وتبلعهم بلعًا، ثم يعيدهم الله كما كانوا، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦]، ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ أي تلفح وجوههم لفحًا فتتركها أسود من الليل البهيم، كما قال تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٤]، ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ أي من الزبانية الموصوفين في آية أخرى بأنهم ﴿غِلاظٌ شِدادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

قال ابن القيم رحمه الله في «إغاثة اللهفان» (١٤/١): «أخبر الله سبحانه عن الحكمة التي جعل لأجلها عدّة الملائكة الموكّلين بالنار تسعة عشر، فذكر سبحانه خمس حكم: فتنة الكافرين، فيكون ذلك زيادة في كفرهم وضلالهم، وقوة يقين أهل الكتاب، فيقوى يقينهم بموافقة الخبر بذلك لما عندهم عن أنبيائهم من غير تلقّ من رسول الله ﷺ عنهم، فتقوم الحجةُ على معاندهم، وينقادُ للإيمان من يرد الله أن يهديه، وزيادة إيمان الذين آمنوا بكمال تصديقهم بذلك والإقرار به، وانتفاء الريب عن أهل الكتاب لجزمهم بذلك، وعن المؤمنين لكمال تصديقهم به».

فهذه أربع حكم: فتنةُ الكفار، ويقين أهل الكتاب، وزيادةُ إيمان المؤمنين، وانتفاء الريب عن المؤمنين وأهل الكتاب.

والخامسة: حيرةُ الكافرين ومَنْ في قلبه مرضٌ، وعَمى قلبه عن المراد بذلك، فيقول: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾.

وهذا حالُ القلوب عند ورود الحق المنزّل عليها: قلبٌ يفتتن به كفرًا وجحودًا، وقلبٌ يزداد به إيمانًا وتصديقًا، وقلبٌ يتيقنه، فتقوم عليه به الحجة، وقلبٌ يوجب له حيرةً وعمًى، فلا يدري ما يراد به. اهـ.

والمراد بمرض القلب هنا مرض الشبهات التي تجعل القلب مرتابًا شاكًا حائرًا، كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

وهناك نوعٌ ثانٍ من أمراض القلوب وهو مرض الشهوات التي تجعل القلب يعشق الحرام ويرغب فيه ويحرص عليه ويبحث عن أسبابه، وهذا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ أي: كما أضلّ الله من أنكر عدد الخزنة، وهدى من صدّق ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾، ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦، ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ يعني النار تذكرةٌ وعظةٌ للبشر.

احذروا الرياء

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الرياء داء عضال، يغضب الرب ويحبط الأعمال حذر منه الله تعالى ورسوله ﷺ في القرآن والسنة، لسوء عاقبته، وخدشه للتوحيد، عافانا الله من خطره وشره.

معنى الرياء: الرياء مشتق من الرؤية، والمراد به إظهار العبادة ليراها الناس فيحمدوا صاحبها. [فتح الباري جـ١١ ص٣٤٤]

التحذير من الرياء وصية ربانية: إن الله حذرنا من الرياء في الأقوال والأفعال وذلك في كثير من آيات القرآن الكريم، وبين لنا سبحانه أن الرياء يحبط الأعمال الصالحة.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [البقرة:٢٦٤].

قال ابن كثير - رحمه الله - عند تفسيره لهذه الآية: لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كما تبطل صدقة من راءى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله، وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة، ليُشكر بين الناس أو يُقال إنه كريم جواد ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾.

[ابن كثير جـ٢ ص٤٦٣]

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء:١٤٢].

قال ابن كثير في هذه الآية: لا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله، بل إنما يشهدون الناس تقية لهم ومصانعة، ولهذا يتخلفون كثيرًا عن الصلاة التي لا يُرون فيها غالبًا كصلاة العشاء في وقت العتمة وصلاة الصبح في وقت الغلس.

[تفسير ابن كثير جـ٤ ص٣١٨]

فاحذر أخي المسلم من الرياء لأنه من صفات المنافقين الذين قال الله عنهم في كتابه العزيز ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠].

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾ أي ما كان موافقًا لشرع الله، وقوله ﴿وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ وهو الذي يُراد به وجه الله تعالى وحده لا شريك له.

[ابن كثير جـ٩ ص٢٠٥]

وقال جل شأنه: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر:٤٧].

قال مجاهد في معنى هذه الآية: عملوا أعمالا توهموا أنها حسنات فإذا هي سيئات، وقال سفيان الثوري في هذه الآية: ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء، هذه آيتهم وقصتهم.

[الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٥ ص٢٥٤]

وقال سبحانه موضحًا عقوبة المرائين يوم القيامة: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون:٤-٧].

الرسول ﷺ يحذرنا من خطورة الرياء

إن النبي ﷺ يحب لنا الخير ويحرص على إرشادنا لما فيه سعادتنا في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

من أجل ذلك حذرنا في كثير من أحاديثه الشريفة من الرياء لأنه يحبط الأعمال الصالحة ويجعلها هباءً منثورًا.

روى أحمد عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر». قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء. يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: «اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً؟». [صحيح، صحيح الجامع حديث ١٥٥٥]

روى مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: قال الله تبارك وتعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً، أشرك فيه معي غيري تركتُهُ وشِرْكَه». [مسلم حديث ٢٩٨٥]

روى الشيخان عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «من سَمَّع، سَمَّعَ الله به، ومن يرائي يرائي الله به». [البخاري ٦٤٩٩، مسلم ٢٩٨٦]

قال الخطابي في معنى هذا الحديث: من عمل عملا على غير إخلاص، إنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه، جُوزي على ذلك بأن يشهره ويفضحه، فيبدو عليه ما كان يبطنه ويُسرُّه من ذلك. [الكبائر ص١٥٧]

روى أبو داود عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من تعلَّم علمًا مما يُبتغى به وجه الله، لا يتعلمُهُ إلا ليصيب به عَرَضًا من الدنيا لم يجد عَرْفَ الجنة يومَ القيامة». عَرْف الجنة: ريحها.

[حديث صحيح، صحيح ابي داود ٣١١٢]

روى الترمذي عن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار».

[حديث حسن، صحيح الترمذي ٢١٣٩]

روى مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن أول الناس يُقضى عليه، رجل استشهد فأُتي به فعرَّفه نِعمةُ فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدتُ. قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يُقالَ جَريء، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقِيَ في النار. ورجل تعلم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمتُ العلم وعلمتُهُ وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليُقالُ عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسَّعَ الله عليه وأعطاه من أصناف المال كُلِّه، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جَوَاد. فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار. [مسلم ١٩٠٥]

أقوال السلف في ذم الرياء: إن لسلفنا الصالح أقوالاً وأفعالاً تدل على ذمهم الرياء، سوف نذكر طرفًا منها:

١ - عمر بن الخطاب: نظر عمر إلى رجل يطأطئ رقبته، فقال له: يا صاحب الرقبة: ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوق في القلوب. [الكبائر للذهبي ص١٥٩]

٢ - علي بن أبي طالب: قال علي رضي الله عنه: للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه وينقص إذا ذم به. [الكبائر ١٥٩]

٣ - أبو أمامة الباهلي: أتى أبو أمامة على رجل وهو ساجد يبكي في سجوده، ويدعو فقال له: أنت! أنت لو كان هذا في بيتك.

[الكبائر ص١٥٩]

٤ - الحسن البصري: قال الحسن: المرائي يريد أن يغلب قدر الله فيه، هو رجل سوء يريد أن يقول للناس هو صالح، فكيف يقولون وقد حلَّ من ربه محل الأردياء. [الكبائر ص١٥٨]

٥ - قتادة بن دعامة: قال قتادة: إذا راءى العبد، يقول الله: انظروا إلى عبدي كيف يستهزئ بي. [الكبائر ص١٥٩]

٦ - الفضيل بن عياض: قال الفضيل: ترك العمل لأجل الناس شرك، والعمل لأجل الناس رياء، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

[الكبائر ص١٥٩]

٧ - محمد بن المبارك الصوري: قال محمد بن المبارك الصوري: أظهر السمت بالليل، فإنه

أشرف من إظهاره بالنهار، لأن السمت بالنهار للمخلوقين، والسمت بالليل لرب العالمين.

[الكبائر ص١٥٩]

مثل الرياء: قال بعض الحكماء: مثل من يعمل رياء وسمعة كمثل من ملأ كيسه حصى ثم دخل السوق ليشتري به، فإذا فتحه بين يدي البائع، افتضح وضرب به وجهه فلم يحصل له به منفعة سوى قول الناس: ما ملأ كيسه، ولا يُعطى به شيئًا، فكذلك من عمل للرياء والسمعة، لا منفعة له في عمله سوى مقالة الناس ولا ثواب له في الآخرة.

قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣].

أي الأعمال التي قصد بها غير ربه تعالى، يبطل ثوابها، وصارت كالهباء المنثور وهو الغبار الذي يُرى في شعاع الشمس.

[الزواجر لابن حجر الهيثمي جـ١ ص٨٠]

أقسام العمل مع الرياء:

القسم الأول: عمل فيه رياء خالص:

إن العمل تارة يكون رياءً خالصًا، بحيث لا يُراد به سوى مراآة المخلوقين لغرض دنيوي كحال المنافقين في صلاتهم، وهذا الرياء الخالص لا يكاد يصدر من مسلم في فرض الصلاة والصيام ولكن قد يصدر منه في الصدقة الواجبة أو الحج وغيرهما من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة.

[جامع العلوم والحكم جـ١ ص٨٠]

القسم الثاني: عمل لله مع رياء.

وتارة أخرى يكون العمل لله ويشاركه الرياء، فإن شاركه في أصله، فالنصوص الصحيحة من السنة تدل على بطلان هذا العمل وحبوطه ثوابه. [جامع العلوم والحكم جـ١ ص٨٠]

القسم الثالث: عمل يخالطه غير الرياء:

إن العمل إذا خالطه شيء غير الرياء لم يبطل بالكلية، فإن خالط نية الجهاد مثلا نية أخرى غير الرياء، مثل أخذ أجرة للخدمة أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة نقص بذلك أجر المجاهد ولم يبطل بالكلية.

[جامع العلوم والحكم جـ١ ص٨٢]

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثُلُثي أجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تمَّ لهم أجرهم». [مسلم ١٩٠٦]

القسم الرابع: عمل خالص لله ثم تطرأ عليه نية الرياء:

إذا كان أصل العمل لله وحده ثم طرأت عليه نية الرياء، فإن كان خاطرًا ودَفَعهُ فلا يضره بغير خلاف بين العلماء، فإن استرسل معه، فهل يَحبطُ عمله أم لا يضره ذلك ويُجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف، قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري، ورجَّحا أن عمله لا يبطل بذلك، وأنه يجازي بنيته الأولى، وهذا القول مروي عن الحسن البصري وغيره، وذكر ابن جرير الطبري أن هذا الاختلاف إنما هو في عمل يرتبط آخره بأوله كالصلاة والصيام والحج فأما ما لا ارتباط فيه كالقراءة والذِّكر وإنفاق المال، ونشر العلم، فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة، ويحتاج إلى تجديد نية. [جامع العلوم والحكم جـ١ ص٨٣-٨٤]

القسم الخامس: عمل لله يصاحبه ثناء الناس:

إذا كان عمل المسلم عملا خالصًا لوجه الله تعالى ثم ألقى الله له الثناءَ الحسنَ في قلوب المؤمنين بذلك، ففرح المسلم بفضل الله ورحمته واستبشر به لم يضره ذلك.

[جامع العلوم والحكم جـ١ ص٨٤-٨٥]

روى مسلم عن أبي ذر قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجلَ يعملُ العمل من الخير، ويَحْمَدُهُ الناس عليه؟ قال: «تلك عاجل بُشرى المؤمن». [مسلم ٢٦٤٢]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سد الذرائع المتعلقة بالنبوة والرسالة

الحلقة الثانية

إعداد

د. عبد الله شاكر الجنيدي

نائب الرئيس العام

إرسال المرسلين بلسان أقوامهم

أرسل الله أنبياءه ورسله باللسان الذي يتكلم به المرسل إليهم، حتى يعرفوا خطابه ومراده منه، ولئلا يتعللوا بعدم الفهم له، فكان الإرسال بهذه الطريقة سدًا لذريعة تكذيبهم بحجة عدم الفهم عنهم. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

واختص الله نبينا محمدًا ﷺ بإرساله إلى الناس كافة من العرب والعجم، كما هو مرسل إلى الجن أيضًا، ولا حجة لغير العرب في ذلك، لأن الله قيض لدينه من ينشره إلى غير العرب بلسانهم وأقيمت الحجة عليهم بذلك.

قال القرطبي: «وما أرسلنا من رسول» أي قبلك يا محمد «إلا بلسان قومه» أي بلغتهم، ليبين لهم أمر دينهم، ولا حجة للعجم وغيرهم في هذه الآية، لأن كل من ترجم له ما جاء به النبي ﷺ ترجمة يفهمها لزمته الحجة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (الجامع لأحكام القرآن ٣٥٦٩/٥).

وقال ابن تيمية: وأما كون القرآن أنزل باللسان العربي وحده فعنه أجوبة: أحدها: أن يقال: والتوراة إنما أنزلت باللسان العبري وحده، وكذلك سائر الكتب لا ينزلها الله إلا بلسان واحد، بلسان الذي أنزلت عليه، ولسان قومه الذين يخاطبهم أولاً، وسائر الأنبياء إنما يخاطبون الناس بلسان قومهم الذي يعرفونه أولاً، ثم بعد ذلك تبلغ الكتب وكلام الأنبياء لسائر الأمم، إما أن يترجم لمن لا يعرف لسان ذلك الكتاب، وإما بأن يتعلم الناس لسان ذلك الكتاب فيعرفون معانيه. [الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١٨٩/١]

وقال ابن كثير: وهذا من لطفه تعالى بخلقه: أنه يرسل إليهم رسلاً منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم، كما قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن عمر بن ذر قال: قال مجاهد: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يبعث الله نبيًا إلا بلغة قومه»، وقد كانت هذه سنة الله في

خلقه: أنه ما بعث نبيًا في أمة إلا أن يكون بلغتهم، فاختص كل نبي بإبلاغ رسالته إلى أمته دون غيرهم، واختص محمد بن عبد الله رسول الله بعموم الرسالة إلى سائر الناس. [تفسير ابن كثير ٣/٢٩٧].

وقال القاسمي في تفسيره: فإن قلت: لم يبعث رسول الله ﷺ إلى العرب وحدهم، وإنما بعث إلى الناس جميعًا، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، بل إلى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة. قلت: لا يخلوا إما أن ينزل بجميع الألسنة أو بواحد منها، فلا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة، لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل، فبقي أن ينزل بلسان واحد، فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول ﷺ ؛ لأنهم أقرب إليه، فإذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر، قامت التراجم ببيانه وتفهمه، كما ترى الحال وتشاهد من نيابة التراجم في كل أمة من أمم العجم. [محاسن التاويل ١٠/٣٧٠٦، ٣٧٠٧].

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي». وذكر منها: «وبعثت إلى كل أحمر وأسود».

قال النووي في شرحه: قيل: المراد بالأحمر: البيض من العجم وغيرهم، وقيل: المراد بالأسود: السودان، وبالأحمر: من عداهم من العرب وغيرهم، قيل: الأحمر الإنس، والأسود الجن، والجميع صحيح، فقد بعث إلى جميعهم. [شرح النووي على مسلم ٥/٥].

نهي المؤمنين عن مخاطبة النبي ﷺ بلفظ «راعنا»:

كان المؤمنون يقولون كلمة: «راعنا» للنبي ﷺ ويقصدون بها معنى صحيحًا وهو: راعنا سمعك، أي اسمع لنا ما نريد أن نسأل عنه، ونراجعك فيه القول لنفهمه عنك، ولكن اليهود كانوا يقولونها ويقصدون بها الحط من مقام النبي ﷺ ، فكانوا يقولون: «راعنا» من المراعاة، وهي تقتضي المشاركة في الرعاية، أي: ارعنا نرعك، وفي خطاب النبي ﷺ بذلك من سوء الأدب ما هو ظاهر، أو أنهم كانوا يُميلون ألسنتهم في نطق هذه الكلمة لتؤدي معنى آخر مشتقًا من الرعونة فنهاهم الله عز وجل أن يقولوا لنبيه ﷺ هذه الكلمة سدًا لذريعة الانتقاص من قدره ﷺ ، وأمرهم أن يتخيروا من الألفاظ أحسنها ومن المعاني أفضلها.

قال ابن تيمية: إنه سبحانه منع المسلمين من أن يقولوا للنبي ﷺ : «راعنا» مع قصدهم الصالح لئلا يتخذه اليهود ذريعة إلى سبه ﷺ ، ولئلا يتشبه بهم، ولئلا يخاطب بلفظ يحتمل معنى فاسدًا. [مجموع الفتاوى الكبرى ٣/١٤٤].

وقال ابن كثير: نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم، وذلك أن اليهود كانوا يُعانون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقص - عليهم لعائن الله -، فإذا أرادوا أن يقولوا: اسمع لنا يقولون: راعنا، يُوَرُّون بالرعونة، كما قال تعالى :﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦]، وكذلك جاءت الأحاديث بالأخبار عنهم بأنهم كانوا إذا سلموا إنما يقولون: «السام عليكم» والسام هو: الموت، ولهذا أمرنا أن نرد عليهم بـ «وعليكم»، فإنه يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا». [تفسير ابن كثير ١/٢١٣].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «كان المسلمون يقولون حين خطابهم للنبي ﷺ عند تعلمهم أمر الدين: (راعنا)، أي: ارع أحوالنا، فيقصدون بها معنى صحيحًا، وكان اليهود يريدون بها معنى فاسدًا، فانتهزوا الفرصة فصاروا يخاطبون الرسول ﷺ بذلك، ويقصدون المعنى الفاسد، فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة، سدًا لهذا الباب، ففيه النهي عن الجائز إذا كان وسيلة إلى محرم» [تيسير الكريم الرحمن ١/١٢٠].

وبالله تعالى التوفيق.

منهج السلف في

إجماع السلف على إثبات الصفات وقصر التفويض فيها على الكيف

أجمع سلف هذه الأمة، على وجوب العلم بالصفات الخبرية من نحو اليدين والعينين والوجه، والاختيارية من نحو الاستواء والنزول والمجيء يوم القيامة- كما أخبر سبحانه عن نفسه وأخبر عنه نبيه عليه الصلاة والسلام- كما أجمعوا على التسليم بجميع هذه الصفات وإثباتها وحملها جميعاً على ظاهرها.. وقد نقل الإجماع على هذا وعلى قصر التفويض في تيك الصفات على الكيف علماء مثل: .

أولاً: الإمام الأوزاعي وذلك فيما رواه عنه الحاكم والذهبي والبيهقي بسند جيد، قال: "كنا والتابعون متوافرون، نقول: إن الله عز وجل فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته(١) وللأوزاعي من رواية الخلال في كتاب السنة قوله: سئل مكحول والزهري- هما أعلم التابعين في زمانهم-عن تفسير أحاديث الصفات فقالا: أمِرُّوها على ما جاءت، وله من طريق بقية بن الوليد كانا يقولان: أمروا الأحاديث كما جاءت(٢)، وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكِر لكون الله فوق عرشه والنافي لصفاته؛ ليعرف الناس أن مذهب السلف يخالف هذا. .والوليد بن مسلم، حيث روى عنه الإمام الذهبي قوله: سألت الأوزاعي ومالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد عن الأحاديث التي فيها الصفات؟ فكلهم قالوا لي: أمروها كما جاءت بلا تفسير(٣) وقولهم: أمروها بلا تفسير يقصدون به بلا تكييف كما يتضح في رواية أخرى ذكرها الذهبي أيضاً- قوله: سألت الأوزاعي والليث بن سعد ومالكاً والثوري عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية وغير ذلك فقالوا: أمضها بلا كيف، وفي رواية أمِرّوها كما جاءت بلا كيف، وقولهم رحمة الله عليهم: (أمروها كما جاءت) رد على المعطلة، وقولهم: (بلا كيف) رد على الممثلة(٤).. وكما هو معلوم فإن جميعهم من أئمة الدنيا وكبار تابعي التابعين(٥). فمالك هو إمام أهل المدينة والحجاز، والثوري إمام أهل الكوفة والعراق، والأوزاعي إمام أهل دمشق والشام، والليث إمام أهل مصر والمغرب.

ثانياً: كما حكى الإجماع محمد بن الحسن فقيه العراق وصاحب أبي حنيفة وذلك فيما رواه عنه أبو القاسم هبة الله اللالكائي وابن قدامة والذهبي وموفق الدين المقدسي وغيرهم، قال: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تفسير(٦) ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر شيئاً من ذلك فقد خرج عما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإنهم لم ينفوا ولم يفسروا، ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم- يعني في نفي الصفات وإخراجها عن ظاهر معناها- فقد فارق الجماعة؛ لأنه وصفه بصفة (لا شيء)(٧).

ففي عبارات الإمضاء والإمرار بلا تفسير التي جئ بها في جانب الكيف وأريد بها التفويض، إشارة واضحة إلى أن الجانب الآخر المتعلق بمعاني الصفات هو ما يجب الوقوف عليه ومعرفة معناه والمراد منه.. وفي هذه العبارات أيضاً وفيما أفادته وأومأت إليه إشارة إلى إبقاء دلالة الصفات على ما جاءت به من معانٍ، ولا شك أنها جاءت لإثبات المعاني اللائقة به سبحانه، كما أن تلك العبارات تعني أنهم إنما أرادوا من قولهم: (أمروها) الرد على المعطلة، وبقولهم: (بلا كيف) الرد على الممثلة، كما أنها تومئ إلى أن منهج السلف ومعتقدهم فيما يتعلق بالصفات هو الإثبات لا النفي، إذ لو كانوا لا يعتقدون ثبوت الصفات ما احتاجوا إلى نفي الكيفية؛ لأن غير الثابت لا وجود له في نفسه فنفي كيفيته من العبث.

ثالثاً: ومما يفيد إجماعهم على ما ذكرنا من إثبات الصفات والوقوف على معناها، لكن مع عدم البحث عن الكيفية، ما جاء عن شريك القاضي فيما حكاه عنه عباد بن العوام قائلاً: قدم علينا شريك بن عبد الله مذ نحو من خمسين سنة، فقلنا له: يا أبا عبد الله، إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث: (إن الله ينزل إلى السماء الدنيا)، و(إن أهل الجنة يرون ربهم)، فحدثني شريك بنحو من عشرة أحاديث في هذا، ثم قال: أما نحن فأخذنا ديننا عن أبناء التابعين عن الصحابة، فهم عمن أخذوا؟(٨).. وما جاء عن سفيان بن عيينة حين قيل له: هذه الأحاديث التي تروى في الرؤية؟ قال: حق

تفويض الصفات

إعداد د. محمد عبد العليم الدسوقي

على ما سمعناها ممن نثق به ونرضاه(٩).. وما جاء عن شيخ خراسان قتيبة بن سعيد قال: قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة: نعرف ربنا سبحانه بأنه في السماء السابعة على عرشه، كما قال جل جلاله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه:٥](١٠).. وما جاء عن إمام المحدثين علي بن المديني وقد سئل: عن قول أهل السنة والجماعة فقال: يؤمنون بالرؤية وبالكلام، وأن الله عز وجل فوق عرشه استوى(١١).

رابعاً: ما جاء عن إسحاق بن راهويه شيخ البخاري فيما رواه عنه البيهقي والحافظ الذهبي، قال: دخلت على عبد الله بن طاهر أمير خراسان، فقال لي: ما هذه الأحاديث؟ تروون أن الله ينزل إلى السماء الدنيا؟ قلت: نعم، رواها الثقات الذين يروون الأحكام، فقال: ينزل ويدع عرشه؟ فقلت: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش؟(١٢)، قال: نعم، قلت: فلم نتكلم في هذا؟(١٣)، يريد إثبات ذلك والتسليم بما سلم به أهل الحديث وعدم إدخال العقل فيما لا يمكن إدراكه وكنهه، وفي رواية أخرى له ذكراها يقول إسحاق: قال لي ابن طاهر: يا أبا يعقوب، هذا الذي تروونه: (ينزل ربنا كل ليلة)، كيف ينزل؟ قلت: أعز الله الأمير، لا يقال: كيف، إنما ينزل بلا كيف. وفي زيادة للحاكم ذكراها، ورواها ـ أيضاً ـ الحاكم بسنده عن أحمد بن سعيد الرباطي، قال: حضرت مجلس ابن طاهر ذات يوم وحضر إسحاق، فسُئل عن حديث النزول: أصحيح هو؟ قال إسحاق: نعم، فقال له بعض قواد الأمير عبد الله: كيف ينزل؟ فقال: أثبتْه فوق حتى أصف لك النزول! فقال له الرجل: أثبته فوق! فقال إسحاق: قال الله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر:٢٢] فقال ابن طاهر: هذا يا أبا يعقوب يوم القيامة، فقال إسحاق: ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟(١٤).

وللبيهقي في (الأسماء والصفات) يقول إسحاق: فقلت: أيها الأمير، إن الله تعالى بعث لنا نبياً نقل إلينا عنه أخباراً بها نحلل الدماء وبها نحرم، وبها نحلل الفروج وبها نحرم، وبها نبيح الأموال وبها نحرم، فإن صح ذا صح ذاك، وإن بطل ذا بطل ذاك، قال فأمسك عبد الله(١٥). كما روى عنه الحاكم قوله في أحاديث النزول والرؤية: رواها من روى الطهارة والغسل والصلاة والأحكام- وذكر أشياء- فإن يكونوا في هذه عدولاً وإلا فقد ارتفعت الأحكام وبطل الشرع(١٦)، وهذا الذي قاله إسحاق هو الذي عليه عامة أهل السنة والجماعة في جميع نصوص الصفات، وفيه ما يدل على أن مذهبهم إمرارها كما جاءت، والإيمان بها بلا كيف، يقول فيما رواه عنه الخلال: إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى، ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة(١٧).

خامساً: ما جاء عن الإمام الحافظ أبي زرعة الرازي وأبي حاتم، فيما رواه عنهما عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: سألت أبي وأبا زرعة رحمهما الله تعالى عن مذهب أهل السنة والجماعة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً ومصراً وشاماً ويمناً وما يعتقدان من ذلك؟ فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار فكان من مذاهبهم.. أن الله تبارك وتعالى على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بلا كيف، أحاط بكل شيء علماً ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١](١٨).. وما جاء عن أبي بكر بن أبي عاصم الشيباني قال: جميع ما في كتابنا - كتاب السنة الكبير- من الأخبار التي ذكرنا أنها توجب العلم، فنحن نؤمن بها لصحتها وعدالة ناقليها، ويجب التسليم لها على ظاهرها، وترك تكلف الكلام في كيفيتها، فذكر من ذلك النزول إلى السماء الدنيا والاستواء على العرش(١٩).. وما جاء عن شيخ أبي الحسن الأشعري وشيخ البصرة وحافظها زكريا الساجي، قال: القول في السنة التي رأيت عليها أصحابنا أهل الحديث الذين لقيناهم أن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف يشاء، ... وساق سائر الاعتقاد(٢٠).. وما جاء عن ابن جرير الطبري، قال: وحسب امرئ أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى، فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر، والحق أن تفسيره مشحون - على حد قول الحافظ الذهبي - بأقوال السلف على الإثبات، فنقل في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾ [البقرة:٢٩، فصلت:١١] عن الربيع بن أنس أنه بمعنى ارتفع، ونقل في تفسير ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف:٥٤، يونس:٣، الرعد:٢، الفرقان:٥٩، السجدة:٤، الحديد:٤] في المواضع كلها، أي: علا وارتفع. وقد روى قول مجاهد ثم قال: ليس في فرق الإسلام من ينكر هذا(٢١).

سادساً: كما يفيده ما جاء عن إمام المذهب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، حيث قال في رسالته إلى أهل الثغر: وأجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه ووصفه به نبيه ﷺ من غير اعتراض فيه ولا تكييف له، وأن الإيمان به واجب وترك التكييف له لازم(٢٢). وبعد أن ذكر في (مقالات الإسلاميين) فرق الخوارج والروافض والجهمية وغيرهم، قال تحت عنوان (جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة): جملة قولهم، الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء عن الله تعالى وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا يردّون من ذلك شيئاً.. وأن الله على عرشه كما قال: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وأن له يدين بلا كيف كما قال: (خَلَقْتُ بِيَدَيَّ)، وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وأن له عينين بلا كيف كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، وأن له وجهاً كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٥٥]، وأن أسماء الله لا يقال: إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج.. ويصدقون - يعني أهل السنة- بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: (هل من مستغفر) كما جاء الحديث.. ويقرون أن الله يجئ يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢]، وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦] إلى أن قال: فهذا جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله(٢٣).

وقد دل هذا على بطلان كل تأويل يُخرج أيًا من الصفات الثابتة بطريق صحيح عن ظاهر معناها؛ على نحو ما زعم البعض- تحت دعوى تنزيهه تعالى عن المشابهة- في تأويل اليد والأصبع بالقدرة والملك، والعجب بالرضا، والضحك بالرحمة، والمناجاة بالإقبال، والدنو بالقرب، وعلوه بعلو الشأن والشرف والمنزلة، والاستواء بالاستيلاء، والوجه بالذات، والإعراض بالسخط، والغضب بإرادة إيصال العذاب، وهكذا، لتنافي كل ذلك مع الإثبات.. كما دل ضمناً على بطلان التوسع في صفات السلوب، لكون ذلك خوض في الكيف الذي تضافرت كلمة السلف على تفويض علمه إلى الله.

والله من وراء القصد.

---

(١) ينظر الأسماء والصفات للبيهقي ص ٥١٥، والعلو ص١٠٢، والحموية ص٢٣، واجتماع الجيوش ص٨٤، ومعارج القبول١/١٣٤، وفتح الباري١٣/ ٣٤٥ باب: (وكان عرشه على الماء).

(٢) علاقة الإثبات ص ٧١عن كتاب السنة للخلال، وينظر الحجة ١/ ١٧٥، ١٩٢، ٤٣٨، والحموية ص٢٤ .

(٣) العلو ص ١٠٤، وينظر ذم التأويل لابن قدامة ص٩، والاسماء والصفات للبيهقي ص ٥٦٩ والسنة للخلال١/ ٢٥٩مجلد١، وعقيدة السلف للصابوني ١/ ١٢٠ المنيرية، واجتماع الجيوش ص ٧٧، وفتح الباري باب(وكان عرشه على الماء) ، ومعارج القبول١/١٥١ .

(٤) العلو ص ١٠٥، والصفات للدارقطني ص٧٥، والسنة للالكائي٣/ ٤٣١، وشرح السنة للبغوي١/١٧١، وخلق أفعال العباد للبخاري ص١٢٦، والحموية ص٢٤، وجامع بيان العلم لابن عبد البر٢/ ٩٦، والمعارج ١/٢٧٣، والحجة ١/ ٤٣٩، وهامشه١/ ١٧٦، وأقاويل الثقات للمقدسي ص٦٢ .

(٥) يعني ممن عناهم النبي ﷺ بقوله: (خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم).

(٦) سياتي بيان أن التفسير المنفي هنا هو ما تعلق بالكيف، أو هو ما قصد إليه الجهمية وأرادوا به تحريف الكلم عن مواضعه.

(٧) العلو للذهبي ص١١٣، وينظر ذم التأويل ص٦، وشرح أصول السنة للالكائي٣/ ٤٣٢مجلد٢، ومجموعة الفتاوى ٤/٤، ٥، وفتح الباري١٣/ ٣٤٥، وأقاويل الثقات للمقدسي ص٦٠، ومعارج القبول١/١٣٧ .

(٨) العلو ص ١٠٨، وينظر الصفات للدارقطني ص٧٣ومعارج القبول١/٢٧٢ . (٩) العلو ص ١١٥، والصفات للدارقطني ص٧٠ .

(١٠) العلو ص ١٢٨، واجتماع الجيوش ص٩٠والمعارج١/١٤٠ . (١١) العلو ص ١٢٩، ومعارج القبول١/١٤١ .

(١٢) في إشارة إلى تحقيق أن نزوله تعالى ليس كنزول المخلوق الذي يستلزم تفريغ مكان وشغل آخر، وهذا الذي أشار إليه إسحاق هو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها أنه تعالى لا يزال فوق العرش ولا يخلو العرش منه مع دنوه ونزوله إلى السماء.

(١٣) ينظر الأسماء والصفات ص ١٢٣، والعلو ص ١٣٢، والمعارج١/١٤١، ٢٤١ .

(١٤) الأسماء والصفات ص٥٦٧، ٥٦٨، والعلو ص١٣٢، وينظر عقيدة السلف للصابوني ١/ ١١٣ المجموعة المنيرية والحجة ٢/ ١٢٤، ١٢٥، ١٧٢، ومعارج القبول١/٢٤١ .

(١٥) الأسماء للبيهقي ص ٥٦٨ . (١٦) المعارج١/ ٢٧٧ . (١٧) العلو ص ١٣٢، وينظر معارج القبول١/١٤١ .

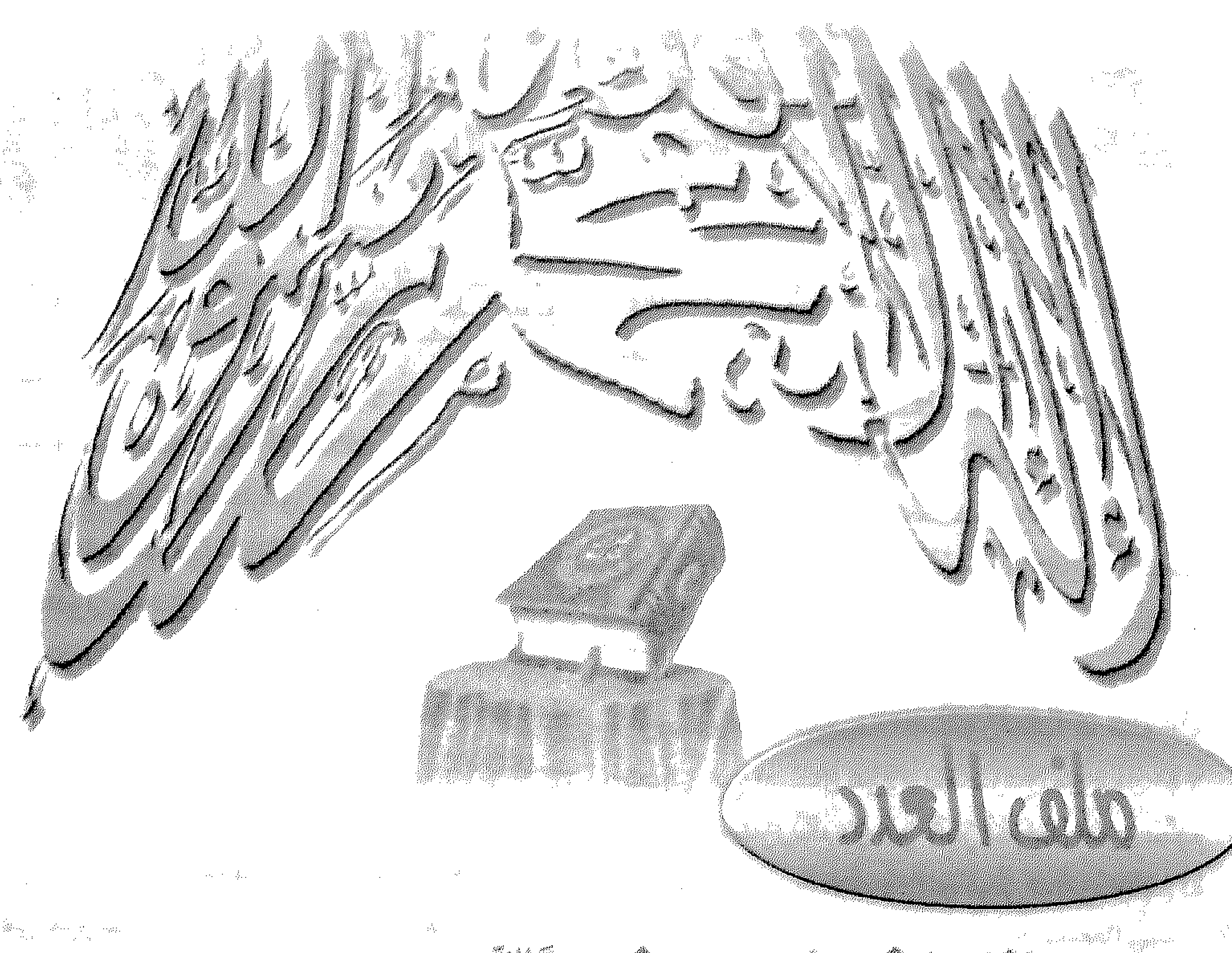
(١٨) العلو ص ١٣٨، وشرح أصول السنة للالكائي ١/ ١٧٦، ١٧٧مجلد١، واجتماع الجيوش ص٩١، ومعارج القبول١/١٤٣، ٢١٩، وينظر تفسير القاسمي عن عقائد السلف ص٥٧٢، ومجموع الفتاوى ٢/٢٢٢ .

(١٩) ينظر العلو ص ١٤٦، والمعارج١/١٤٤ .

(٢٠) العلو ص ١٥٠، وينظرالإبانة الكبرى لابن بطة واجتماع الجيوش ص٩٧، والمعارج ١/١٤٦ .

(٢١) العلو ص ١٥٠، وينظر اللالكائي ٣/ ٣٩٧مجلد٢، واجتماع الجيوش ص٧٥، والمعارج١/١٤٦ .

(٢٢) رسالة الأشعري إلى أهل الثغر ص١٣٣ (٢٣) العلو ص ١٥٩، وينظر مقالات الإسلاميين ص ٢٩٠: ٢٩٧، والحموية ص٥٣، ٥٤ .



ملف العدد

رسولنا الذي لم يعرفوه! صلى الله عليه وسلم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلقد عمد أعداء الإسلام والحاقدون عليه والحاسدون له والكارهون للهدى ودين الحق إلى مهاجمته في جولة جديدة من جولات الظلم والعدوان، والكراهية والبهتان، تمثلت هذه الجولة في الاستهزاء بسيد البشر، سيد ولد آدم، وإن ما فعلوه سيندمون عليه في الدنيا والآخرة ولن ينفعهم الندم، فمن ندمهم في الدنيا؛ تلك المكاسب والمغانم العظيمة للمسلمين التي لا تعدلها الملايين من الأموال، والمتمثلة في تميز المسلمين بعد ذوبانهم في غيرهم، وانحيازهم إلى نبيهم بعد أن أهملوا كثيرًا من سيرته وسنته، فضلا عن الحجم الباهظ من المؤلفات والمقالات والرسائل والكتب والإذاعات المرئية والمسموعة والخطب والدروس التي تعرّف بالنبي ﷺ وتحث الأمة على طاعته واتباع هديه، إضافة إلى ترسيخ الكراهية في قلوب المسلمين تجاه أهل الضلال والانحراف، وشحنها إيمانيًا بتعظيم الله ورسوله، ومعه احتقار الباطل والكفر به، بل من النتائج والمكاسب أيضًا تفتح عيون اللادينيين والمنصرفين إلى دنياهم ليعرفوا الكثير عن نبينا محمد ﷺ، ولو كان المجرمون الذين أساءوا للإسلام والمسلمين بالاستهزاء بنبيهم يعلمون أن كل ذلك سيحدث لما فعلوه، ولو أعطيناهم أغلى ما يملكه أهل الإسلام من مال ودنيا، ومن النتائج أيضًا؛ تلك الخسائر الفادحة في اقتصادهم وأموالهم ودنياهم التي هم أحرص الناس عليها، مما يورث الفتن والشحناء بينهم والبأس الشديد، قال تعالى: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر:١٤]، ومن النتائج أنهم استجلبوا مزيدًا من سخط الله عليهم وتعجيلاً لتنكيل الله تعالى بهم، ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة]، ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت].

عند هذا كله يعرف المسلمون جيدًا ما قاله الله تعالى في أمثال هؤلاء المنحرفين من قبل: ﴿ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١١].

إنهم وإن كانوا يعرفون النبي ﷺ على الإجمال كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾، لكنهم لطول الأمد وقسوة القلوب وامتلائها بالحقد والكراهية والتعصب الأعمى البغيض نسوا الجوانب الهامة العظيمة التي أودعها الله تعالى في أخلاق هذا النبي الكريم وشخصيته.

لقد بُعث النبي ﷺ إلى الناس أجمعين ليبين لهم هدفًا من أهداف بعثته فيقول: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق». [السلسلة الصحيحة (٤٥)]، تلك الأخلاق التي يتشدقون بحمايتها ويزعمون كذبًا صيانتها ويسمونها حرية وحضارة، وهم في الحقيقة أعداء الحرية والحضارة، جاء النبي ﷺ ليريح المظلومين من شبح العنصرية المبنية على اختلاف الأديان والأوطان والألوان والألسنة، فيعلن النبي وهو عربي للبشرية جمعاء «إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، فلا فضل لعربي على أعجمي ولا

أحمر على أسود إلا بالتقوى». [غاية المرام (٣٠٨)] ويذيع لهم خبر السماء الذي انطلق منه وبه: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات] ثم يعرفهم الأصل الذي ينتمون إليه ليلتفوا حوله جميعًا: «الناس ولد آدم وآدم من تراب». [السلسلة الصحيحة (١٠٠٩)] ويزيح ستار الظلم والبغي: «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد». [السلسلة الصحيحة (٥٧٠)]

هذه المعاني وأكثر منها لو ذكرت أمام الغربيين الحاقدين لقالوا نحن الدعاة إليها، بل يحاولون عند احتلالهم لقطر من الأقطار أن يذيعوا ويشيعوا أنهم جاءوا حماة لهذه المبادئ، فكيف لو عرفوا أن الداعية الأول إليها هو النبي ﷺ، لكن بدون احتلال، ولا خداع واحتيال، فمن كان يؤمن بذلك بعد توحيد الله تعالى فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم، دمه وماله وعرضه حرام على من طمع فيه.

وهذه نماذج مشرفة ومواقف خالدة لهذا النبي العظيم في معاملة المنافقين وغير المسلمين:

أولها: موقفه ﷺ من كبير المنافقين ابن سلول لما أهانه

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول، وذلك قبل أن يُسلم عبد الله بن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبد الله ابن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمَّر عبدالله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي بن سلول: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقًا، فلا تؤذنا به في مجالسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه. فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله، فاغشنا به في مجالسنا فإنا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا، ثم ركب النبي ﷺ دابته

إعداد
اللجنة العلمية

فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبي ﷺ: «يا سعد، ألم تسمع ما قال أبو حباب؟»- يريد عبد الله بن أبي - قال كذا وكذا. قال سعد بن عبادة: يا رسول الله، اعف عنه واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شَرِق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله ﷺ.

صلاته ﷺ على ابن سلول عند موته وكان قد أسلم

لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُ النبي قَمِيصَهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يُكَفِّنَهُ فِيهِ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي عَلَيْهِ فَأَخَذَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِثَوْبِهِ فَقَالَ: تُصَلِّي عَلَيْهِ وَهُوَ مُنَافِقٌ وَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ؟ قَالَ: «إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللَّهُ أَوْ أَخْبَرَنِي اللَّهُ فَقَالَ: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾. فَقَالَ سَأَزِيدُهُ عَلَى سَبْعِينَ» قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾.

[رواه البخاري]

وفاء النبي ﷺ مع من تعاهد معه من المشركين

قال حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ، قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا فَقُلْنَا مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلا الْمَدِينَةَ فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلا نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ فَقَالَ: «انْصَرِفَا؛ نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ». [مسلم]

ومن وفائه ﷺ بالعهود مع أهل الذمة من المشركين ما حدث مع بني عامر:

ذكر الطبري في تاريخه قال: خرج عمرو بن أمية (رجل من المسلمين) حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة أقبل رجلان من بنى عامر (من الكفار) حتى نزلا معه في ظل هو فيه، وكان مع العامريين عقد من رسول الله ﷺ وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية وقد سألهما حين نزلا ممن أنتما؟ فقالا: من بنى عامر، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثؤرة من بنى عامر بما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ أخبره الخبر، فقال رسول الله ﷺ: «لقد قتلت قتيلين، لادينهما». يعني أن يدفع الدية. [تاريخ الطبري]

والموقف الثالث هنا وفاؤه لقريش بعهدها الذي عاهدته إياه في صلح الحديبية

قال ابن إسحاق: قال الزهري: ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ وقالوا: آت محمدًا وصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبدا. فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلا، قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل.

فلما انتهى سهيل إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام، وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح.

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب (العهد)، وثب عمر فأتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر أليس برسول الله ﷺ ؟ قال: بلى. قال أو لسنا بالمسلمين ؟ قال: بلى قال أو ليسوا بالمشركين ؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال أبو بكر: يا عمر الزم غرزه فإني أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله: ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ألست برسول الله ؟ قال: بلى، قال أو لسنا بالمسلمين ؟ قال: بلى. قال أو ليسوا بالمشركين ؟ قال: بلى. قال فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ قال: أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني.

وكان عمر رضي الله عنه يقول ما زلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمته يومئذ حتى رجوت أن يكون خيرا.

قال: ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال: فقال سهل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب باسمك اللهم، قال: فقال رسول الله ﷺ اكتب «باسمك اللهم» فكتبها، ثم قال: اكتب «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو».

فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك.

ولكن اكتب اسمك واسم أبيك.

فقال رسول الله: اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمدًا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشًا ممن مع محمد لم يردوه عليه، وإن بيننا عيبة مكفوفة، وإنه لا إسلال ولا إغلال، وإنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم، وإنك ترجع عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وإنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها.

قال: فبينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد، قد انفلت إلى رسول الله ﷺ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ قد خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمل

عليه رسول الله ﷺ في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون، فلما رأى سهيل أبا جندل ابنه قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتلبيبه وقال: يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا. قال: صدقت فجعل ينتره بتلبيبه ويجره يعني يرده إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أرد إلى المشركين يفتنونني في ديني ! فزاد ذلك الناس إلى ما بهم. فقال رسول الله ﷺ " يا أبا جندل اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا. إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم " قال: فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول: اصبر أبا جندل، فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب. قال: ويدني قائم السيف منه. قال: يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب أباه. قال فضن الرجل بأبيه ونفذت القضية.

فلما فرغ النبي ﷺ من الصلح قام إلى هديه فنحره، ثم جلس فحلق رأسه، وكان الذي حلقه في ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي، فلما رأى الناس أن رسول الله ﷺ قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون. [البداية والنهاية لابن كثير]

منعه ﷺ الغدر بالكفار

وكثيرًا ما منع النبي ﷺ أصحابه في كل مواقفهم من الغدر ولو بالمشركين.

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تَمْثُلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ أَوْ خِلاَلٍ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلاَ تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلاَ ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلاَ تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لاَ.

[مسلم]

ونهى ﷺ عن قتل النساء والأطفال

عن نافع أن عبد الله رضي الله عنه أخبره أن امرأة وُجدت في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولة فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان.

[البخاري]

عفوه ﷺ عن أعدائه بعد قدرته عليهم عند فتح مكة وغيرها

عندما فتح النبي ﷺ مكة قال: «يا معشر قريش؛ ما ترون أني فاعل فيكم؟» قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

[البداية والنهاية]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخبره أنه غزا مع النبي ﷺ فادركتهم القائلة في واد كثير العضاه فتفرق الناس في العضاه يستظلون بالشجر فنزل النبي ﷺ تحت شجرة فعلق بها سيفه ثم نام فاستيقظ وعنده رجل وهو لا يشعر به، فقال النبي ﷺ: «إن هذا اخترط سيفي فقال من يمنعك ؟ قلت: الله، فشام السيف فها هو ذا جالس». ثم لم يعاقبه. [البخاري ومسلم]

سب النبي الأمين صلى الله عليه وسلم

الحمد لله رب العالمين حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير الخلق، سيد ولد آدم، حامل لواء الحمد، نبي الهدى والرحمة، وعلى آله وصحبه، الذين جاهدوا معه، وبلغوا رسالة الله للناس، رضي الله عنهم أجمعين.

وبعد:

«عن ابن عباس رضي اللَّهُ عنهما أنَّ أعْمَى كانت له أُمُّ وَلِدٍ كانت تَشْتِمُ النبيَّ ﷺ وَتَقَعُ فيه، فَيَنْهَاهَا فلا تَنْتَهِي، وَيَزْجُرُهَا فلا تَنْزَجِرُ! قال: فلما كان ذاتَ ليلةٍ جعلتْ تَقَعُ في النَّبيِّ ﷺ وتشتمه، فأخذ المغْول فوضعه في بطنها واتكأ عليه فقتلها فوقع بين رِجْلَيْهَا طِفلٌ، فَلَطَخَتْ ما هنالك بالدَّم! فَلمَّا أصبحَ ذُكِرَ ذلك لرسولِ اللَّهِ ﷺ، فجمع الناس فقال: «أَنْشُدُ اللَّهَ رجلاً فَعَلَ ما فَعَلَ، لي عليه حقٌّ إلاَّ قامَ». فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يَتَزَلْزَلُ حتى قعد بين يَدَي النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ اللَّه، أنا صاحِبُهَا، كانت تَشْتِمُكَ وتقعُ فيك فأَنْهَاها فلا تَنْتَهِي، وأزْجُرُها فلا تَنْزَجِرُ، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقةً، فلما كان البارحةَ جعلت تشتُمكَ وتقعُ فيك، فأخذتُ المغْولَ فوضعته في بطنها، واتكأْتُ عليها حتى قتلتها! فقال النبي ﷺ: «ألا اشْهَدُوا أنَّ دَمَهَا هَدَرٌ».

هذا الحديث أخرجه الإمام أبو داوُد في سننه في كتاب الحدود، باب الحكم فيمن سب رسول الله ﷺ برقم (٤٣٦١)، وأخرجه الإمام النسائي في سننه في كتاب المحاربة باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ برقم (٤٠٧٥)، وأخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٨٠٤٤)، والدارقطني والطبراني في الكبير، وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (٩٢/٥) برقم (١٢٥١) وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم.

شرح ألفاظ الحديث

«أُمُّ وَلَدٍ»: أي غير مسلمة ولذلك كانت تجترئ على ذلك الأمر الشنيع.

«تقع فيه»: أي تَعيبه وتذمه؛ يقال: وقع فيه أي عابه وذمَّه.

«فلا تنزجر»: أي: فلا تمتنع.

«فأخذ المِغْوَلَ» بكسر الميم وسكون الغين المعجمة؛ شِبْهُ سيفٍ قصير يشتمل به الرجلُ تحتَ ثيابِه فَيُغَطِّيه، وقيل حديدةٌ دقيقةٌ لها حدٌّ ماضٍ، وقيل هو سَوْطٌ في جوفه سيف دقيق يشده الفاتِكُ على وَسَطِهِ ليغتالَ به الناسَ، وقد جاء في بعض نسخ أبي داود «المعول» بالعين المهملة، وهو آلة حديديَة تستعمل في الخطر.

«واتكأ عليها»: أي تحامل عليها.

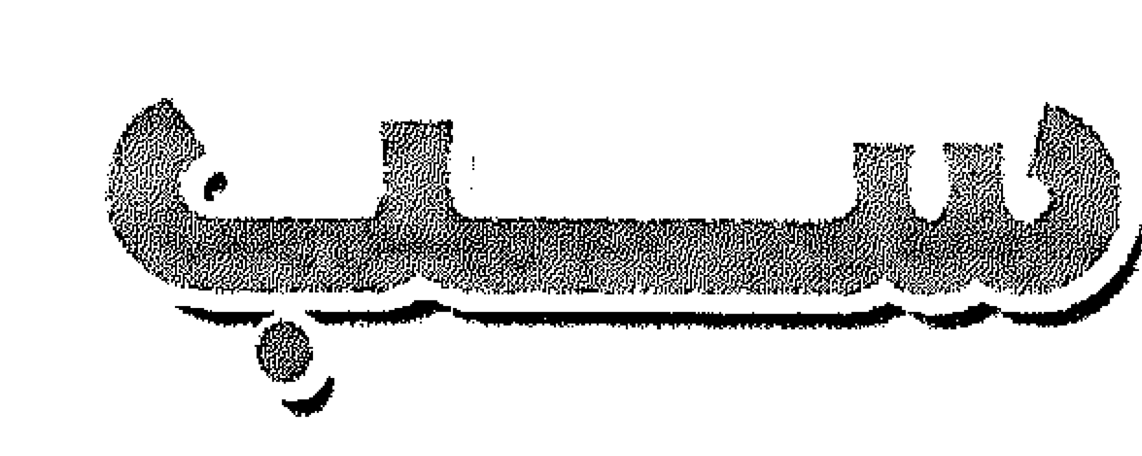
«فوقع بين رجليها طفل» لعله كان ولدًا لها، والظاهر أنه لم يمت.

«فَلَطَخَتْ» أي لوَّثَتْ.

«ما هناك» أي من الفراش.

«ذُكِرَ ذلك لرسول اللَّه ﷺ» أي ذُكِرَ ذلك القَتْلُ.

«فقال: أَنْشُدُ اللَّهَ رجلاً» أي أسأله بالله وأُقْسِمُ عليه.



سب لجميع المسلمين

إعداد
زكريا حسيني

«لي عليه حق»: أي يجب عليه طاعتي وإجابة دعوتي.

«يتزلزل»: وفي النسائي «يدلدل». وكلاهما بمعنى يتحرك ويضطرب في مشيته.

«قعد بين يدي النبي ﷺ» أي قعد أمام النبي ﷺ.

«مثل اللؤلؤتين» في الحسن والبهاء وصفاء اللون.

«ألاَ اشهدوا أنَّ دمها هدر»: ألاَ بالتخفيف أداة تنبيه، وإهدار دمها، أي إبطاله، وأنه لا قصاص عليه في قتلها. قال السندي في شرحه على سنن النسائي: لعل النبي ﷺ علم بالوحي صدق قوله. واعتذار السندي هنا بقوله (لعل النبي ﷺ علم بالوحي صدق قوله لبيان أن لا يجوز لآحاد الناس فعل هذا الرجل الأعمى لأن هذا من وظائف إمام المسلمين).

أقوال العلماء في قتل من سبَّ رسول الله ﷺ

قال السندي رحمه الله: في الحديث دليل على أن الذمي إذا لم يكف لسانه عن الله ورسوله فلا ذمة له، فيحل قتله.

قال المنذري: فيه أن سابَّ رسول الله ﷺ يُقتل، وقد قيل: إنه لا خلاف في أن سابه من المسلمين يجب قتله، وإنما الخلاف إذا كان ذميًا، فقال الشافعي: يقتل وتبرأ منه الذمة، وقال أبو حنيفة: لا يقتل؛ ما هم عليه من الشرك أعظمُ (أي أنَّ الشرك أعظم من سب النبي ﷺ) وقال مالك: مَنْ شَتَمَ النبيَّ ﷺ من اليهود والنصارى قُتل، إلاَّ أن يسلم. انتهى كلام المنذري. نقلاً عن عون المعبود.

ولقد روى أبو داود أيضًا من حديث عليّ رضي الله عنه: «أن يَهُوديَّة كانت تشتم رسول الله ﷺ وتقع فيها فخنقها رجلٌ حتى ماتتْ فأبطل رسول الله ﷺ دمها»، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء تحت رقم (١٢٥١) ٥/٩١، وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ويشهد له حديث ابن عباس رضي الله عنهما - الذي معنا.

قال صاحب عون المعبود: فيه دليل على أنه يقتل من يشتم النبي ﷺ. ثم قال: وقد نقل ابن المنذر الاتفاق على أن من سبَّ النبي ﷺ وجب قتله. وقال الخطابي: لا أعلم خلافًا في وجوب قتله إذا كان مسلمًا. وقال ابن بطال: اختلف العلماء في من سبَّ النبي ﷺ، فأما أهل العهد والذمة كاليهود فقال ابن القاسم عن مالك: يقتل من سبه ﷺ منهم إلا أن يسلم، وأما المسلم فيُقتل من غير استتابة. ونقل ابن المنذر عن الليث والشافعي وأحمد وإسحاق مثله في حق اليهودي ونحوه. وروى عن الأوزاعي ومالك في المسلم أنها ردة يستتاب منها، وعن الكوفيين إن كان ذميًا عُزِّرَ وإن كان مسلمًا فهي ردة.

موقف اليهود من النبي محمد ﷺ

لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة كان اليهود أول من أظهروا الحقد والحسد لرسول الله ﷺ، ومع أن النبي ﷺ، عاهدهم ووادعهم، وكان المنتظر من أمثالهم أن يكونوا أول من يصدقه ويتبعه، وقد كانوا يستفتحون به على المشركين، ويخبرونهم أنه أظلهم زمان آخر الأنبياء، وأنهم إن ظهر فسوف يتبعونه ويقاتلونهم معه، وهم يعرفون ذلك؛ يعرفون أن محمدًا حق وأن الإسلام حق كما يعرفون أبناءهم، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، ولقد جاءهم الأمر من الله عز وجل أن يؤمنوا به، وأن يفوا بعهده ليوفي بعهدهم، ونهاهم أن يكونوا أول كافر به، لكن هيهات، فإن قلوبهم قد امتلأت بالحسد عليه ﷺ، وكانوا حقًا أول من كفر بمحمد ودين محمد صلوات الله وسلامه عليه، ولم يكتفوا بالكفر به، بل حاولوا قتله بكل ما يستطيعون،

وبكل ما أوتوا من قوة ومن مكر ودهاء وكيد للإسلام ولنبي الإسلام.

موقف بني قينقاع من الرسول ﷺ

فأول قبائل اليهود نقضًا للعهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ هم بنو قينقاع وذلك في شوال من السنة الثانية من الهجرة بعد غزوة بدر مباشرة، فحاربهم الرسول ﷺ، فنزلوا على حكمه، وأراد قتلهم فاستوهبهم منه عبد الله بن أبيٍّ - وكانوا حلفاءه - فوهبهم له، وأخرجهم من المدينة إلى أذرعات.

موقف بني النضير مع النبي ﷺ

ثم نقض بنو النضير العهد، وقد أرادوا الغدر برسول ﷺ عندما خرج إليهم يستعين بهم في دية رجلين من بني عامر قتلهما عمرو بن أمية على سبيل الخطأ، وكان بين بني عامر وبني النضير عقد وحلف، فلما أتاهم يستعينهم قالوا: نعم، ثم خلا بعضهم ببعض وعزموا على قتله ﷺ بإلقاء صخرة على رأسه وهو جالس بجوار جدار من جدرهم، فأوحي الله تعالى إليه بذلك، فقام منصرفًا، ثم حاصرهم وأجلاهم إلى خيبر والشام.

وفي رواية لابن مردويه: أن اليهود بعد غزوة بدر كاتبتهم قريش، فأجمعوا على الغدر برسول الله ﷺ، فأرسلوا إلى النبي ﷺ: اخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك، ويلقاك ثلاثة من علمائنا، فإن آمنوا بك اتبعناك، ففعل ﷺ، فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر، فأرسلت امرأة من بني النضير إلى أخ لها من الأنصار مسلم تخبره بأمر بني النضير، فأخبر أخوها النبي ﷺ قبل أن يصل إليهم، فرجع وصبحهم بالكتائب فحصرهم ثم أجلاهم.

موقف بني قريظة من الرسول ﷺ

تمالأت قريظة مع قريش على رسول الله ﷺ، وتحزبت مع الأحزاب، مُجْمِعةً على قتاله وقتال من معه من المسلمين، ناقضة عهدها مع رسول الله ﷺ، وذلك في غزوة الأحزاب، فما كان من النبي ﷺ إلا أن توجه إليهم بأمر من الله تعالى، حين نزل جبريل على النبي ﷺ مخبرًا إياه أن الملائكة لم تضع أسلحتها، فانهض بمن معك إلى بني قريظة، فأمر رسول الله ﷺ مؤذنًا يؤذن في الناس: من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة.

موقف يهود خيبر معه ﷺ

كان يهود خيبر من أكبر المحرضين للمشركين الوثنيين على قتال رسول الله ﷺ، بل كانوا من أهم الأسباب في تجميع الأحزاب للقضاء على الإسلام ونبي الإسلام، فلذلك بعدما استقر أمر رسول الله ﷺ بالمدينة وهدأت أحوال المسلمين بها تهيأ النبي ﷺ وتوجه إلى خيبر، لتأديبهم بسبب نقضهم العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ.

ولقد بيّن القرآن الكريم موقف اليهود من الإسلام والمسلمين في أكثر من آية منه، ومن أجمعها قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٢، ٨٣]، هذا موقف اليهود من الإسلام ونبي الإسلام عند ظهوره، وبداية انتشار دينه.

فما موقف أعداء الإسلام اليوم؟

لقد تفنن أعداء الإسلام في كل مكان باتهام الإسلام بأنه دين الإرهاب، وذلك يرجع إلى إساءة ربما صدرت من بعض المنتمين إلى هذا الدين! وهؤلاء الأعداء؛ ألا يعرفون عن الإسلام إلاَّ هذه التصرفات التي يتبرأ منها الإسلام وأهله؟ إنهم صموا آذانهم وأغلقوا عقولهم وتغابَوْا - وهم يظهرون للناس أنهم أهل العقل والذكاء والفهم - عن أن يتعرفوا على الإسلام وسماحته، وأنه الدين الحق الذي ارتضاه الله تبارك وتعالى لعباده، وأنهم - أعداء هذا الدين - ما نهضوا ولا عرفوا تطورًا ولا رقيًا إلا باقتباسهم من هذا الدين ما جعلهم يصلون إلى ما وصلوا إليه من رقي ورفعة.

ثم تجرأ أعداء الإسلام على نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، فصوروه بصور لا تليق بأرازل الناس وسفهائهم فضلاً عن المؤمنين الصالحين، وفضلاً عن رسل الله وأنبيائه الذين هم خير البشر، بل خير الخلق.

سبب جرأة أعداء الإسلام على نبي الإسلام

إن هذه الجرأة إنما نشأت وظهرت بسبب ضعف المسلمين وجهل الكثير منهم بهذا الدين الحق، الذي قال الله جل جلاله فيه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. بل إن كثيرًا من المسلمين انبهروا بما عليه أعداء الإسلام من زخرف الحياة الدنيا، فنظروا إلى الدين على أنه أمرٌ هامشي، لا يهتمون به إلا بعد أن يفرغوا من أمور الدنيا، ولو علموا أن سعادتهم في الدنيا والآخرة إنما هي في نسبتهم إلى هذا الدين وتمسكهم به، لتمسكوا به وعَضُّوا عليه بالنواجذ، ولم يفرطوا في شيء منه أبدًا.

سب النبي ﷺ سب لجميع المسلمين وطعن في دينهم

معلوم أن رسل الله عليهم صلوات الله وتسليماته يأتون برسالات الله ليبلغوها إلى أقوامهم، فهم واسطة بين الله وبين عبادة، فمن سبَّ نبيًا من الأنبياء فقد طعن في رسالته، ولا شك أن الطعن في الرسول والرسالة طعن في المرسل - سبحانه - وبذلك نستطيع أن نعرف لماذا أهدر النبي ﷺ دم اليهودية التي آذته وسبته، وإذا كان المشرك لا يعرف لله عز وجل حقًا ولا يرجو له وقارًا فلا يستغرب منه سبٌّ لنبيٍّ من الأنبياء، أما اليهود فإنهم أهل كتاب، أرسل الله تعالى إليهم رسولاً وأنزل عليهم كتابًا، وفي كتابهم تعظيم شأن هذا النبي، فمن آذاه أو سبه فإنما يكفر بما عنده من العلم، ويكتم الحق وهو يعلم.

وحينما يسب الكفار المعاصرون نبي الإسلام فإن هذا السب والاستهزاء والسخرية إنما هو طعن في دين الإسلام وسبٌّ للمسلمين جميعًا الذين يدينون بدين الإسلام، لذلك وجب على المسلمين أن يهبوا دفاعًا عن أنفسهم وعن دينهم وعن نبيهم.

قال شيخ الإسلام في «الصارم المسلول»: وضرر السبِّ في الحقيقة إنما يعود إلى الأمة بفساد دينها وذل عصمتها وإهانة مستمسكها، وإلاَّ فالرسول صلوات الله وسلامه عليه في نفسه لا يتضرر بذلك. اهـ (ص٤٤٣).

واجب الأمة تجاه نبيها ﷺ

يجب على كل مسلم من المسلمين تجاه نبيّه ﷺ ما يأتي:

١- التعزير والتوقير، والذب عن سنته ﷺ، والتعزير كما في التفسير تأييده بالمعونة والنصرة ولا يكون ذلك إلا باتباع سنته.

٢- تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه.

٣- حبه ﷺ، وتقديم محبته على النفس والوالد والولد والناس أجمعين، ويظهر ذلك في اتباعه والاقتداء به وحده.

٤- الحذر من الاستهزاء بشيء من سنته، أو رَدّ شيء منها بالعقل.

٥- محبة آل بيته وأزواجه وأصحابه، والتقرب إلى الله تعالى بحبهم.

٦- بيان حال من يطعن في صحابته أو أهل بيته.

٧- تربية أبناء المسلمين على محبة رسول الله ﷺ والاقتداء به، وتعريفهم حقوقه ﷺ على الأمة.

٨- التخلق بأخلاقه ﷺ، والاقتداء به في سلوكه.

٩- التعرف على سيرته ﷺ وجهاده من أجل تبليغ رسالة ربه.

١٠- وعلى العلماء أن يعملوا على:

أ- إحياء سنته ﷺ في نفوس الناس.

ب- التمييز بين الصحيح والضعيف مما يُنقل عنه من سنته.

جـ- التحذير من البدع في الدين التي أساءت إلى الإسلام.

د- التحذير من الغلو فيه ﷺ، بل ينزل منزلته التي أنزله الله تعالى إياها.

هـ- الرد على الشبهات والأباطيل التي يثيرها أعداء الإسلام وتفنيدها.

١١- على الأمة الإسلامية أن تتصدى للإعلام الغربي واليهودي، والرد على ما يثيرونه من شبهات حول الإسلام ونبي الإسلام.

١٢- وعلى الأمة أيضًا أن تُعنى عناية فائقة بالدعوة إلى الإسلام، ودعم الدعاة ليقوموا بواجبهم تجاه الدين.

نسأل الله تعالى أن يرد كيد الأعداء وأن يبطل مكرهم، وأن يعز دينه ويعلي كلمته، وأن يوفق المسلمين للدفاع عن دينهم، والذود عن نبيهم، والذب عن سنته ﷺ، وأن يجمع كلمتهم على الحق، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين.

دفاع الأسرة المسلمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.. وبعد.

فإن الأسرة المسلمة بكافة أفرادها كانت فداءً لرسولها محمد ﷺ، فرجالها ونساؤها وأطفالها ضربوا أروع الأمثلة في الدفاع عن هذا النبي الكريم، ليس فقط بالكلام والادعاء، إنما بالعمل والفداء، وبذل الأرواح، والأزواج والآباء والأبناء كل ذلك فداءً ودفاعًا عن نبي الإسلام، فإنهم كانوا يعرفون حق المعرفة مكانته عند الله سبحانه وعند المؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]، وقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم:٤].

وهذه صورة مشرقة لرجل أخذته الغيرة على عرض رسوله ﷺ فانظروا كيف فعل مع امرأة هي أم ولديه اللذين يشبهان القمر واللؤلؤ، ومع أن هذه المرأة كانت رقيقة رفيقة بهذا الرجل. فماذا حدث بينه وبينها؟

أولاً: الصحابة ودفاعهم عن نبيهم ﷺ

عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ المِغْول (وهو السكين) فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها، فوقع بين رجليها طفل فلطَّخت ما هناك بالدم، فلما أصبح ذكر ذلك للنبي ﷺ، فجمع الناس فقال: «أنشد الله رجلا فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام»، قال: فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل حتى قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله؛ أنا صاحبها؛ كانت تشتمك وتقع فيك فأنهاها فلا تنتهي وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين وكانت بي رفيقة، فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك فأخذتُ المِغْوَل فوضعْتُه في بطنها واتكأتُ عليها حتى قتلتُها، فقال النبي ﷺ: «ألا اشهدوا أن دمها هدر».

[سنن أبي داود. وقال الألباني صحيح]

(أم ولد)، أي غير مسلمة، ولذلك كانت تجترئ على ذلك الأمر الشنيع، (وتقع فيه)، أي: تعيبه وتذمه ﷺ، (ويزجرها)، أي: يمنعها. (فلا تنزجر)، أي: فلا تمتنع. (فلما كانت ذات ليلة) (فأخذ)، أي: الأعمى. (المِغْوَل) مثل سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه فيغطيه، وقيل: حديدة دقيقة لها حدٌ ماضٍ، (واتكأ عليها)، أي: تحامل عليها. (فوقع بين رجليها طفل): لعله كان ولدا لها، والظاهر أنه لم يمت. (فلطخت)، أي: لوثت. (ما هناك) من الفراش، (فقال ﷺ: أنشد الله رجلاً)، أي: أسأله بالله وأقسم عليه. (فعل ما فعل، لي عليه حق)، أي: يجب عليه طاعتي وإجابة دعوتي. (يتزلزل)، أي: يتحرك (بين يدي النبي): أي: قدَّامه ﷺ. (مثل اللؤلؤتين)، أي: في الحسن والبهاء وصفاء اللون،

عن نبيها ﷺ

إعداد
جمال عبد الرحمن

(ألا) بالتخفيف، (إن دمها هدَر) لعله ﷺ علم بالوحي صدق قوله، وفيه دليل على أن الذمي إذا لم يكف لسانه عن الله ورسوله فلا ذمة له فيحل قتله، قاله السندي.

قلت؛ لأنه لا يجوز أن يقوم بهذا العمل فرد على حده، إنما يكون ذلك عن طريق إمام المسلمين، ولذلك ذكر السندي هذا الاعتذار.

قال المنذري: وأخرجه النسائي، وفيه أن ساب رسول الله ﷺ يُقتل، وقد قيل: إنه لا خلاف في أن سابه من المسلمين يجب قتله، وإنما الخلاف إذا كان ذميًا؛ فقال الشافعي: يُقتل وتَبْرأ منه الذمة، وقال أبو حنيفة لا يقتل؛ ما هم عليه من الشرك أعظم، وقال مالك: من شتم النبي ﷺ من اليهود والنصارى قُتِل إلا أن يسلم. [انتهى كلام المنذري]

وعن القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار قال: انتهى أنس بن النضر - عم أنس بن مالك - إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار وقد اتقوا بأيديهم، فقال: فما يجلسكم؟ قالوا: قُتِل ﷺ، قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل، وبه سمي أنس بن مالك، فحدثني حميد الطويل عن أنس بن مالك، قال: لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة، فما عرفه إلا أخته عرفته ببنانه.

كذلك فإن النبي ﷺ لما افتقد سعد بن الربيع الأنصاري بعث إليه من يبحث عنه ويطلبه بين القتلى، فإذا به وهو في الرمق الأخير يصيح في قومه الأنصار بأنهم لا عذر لهم أن يمس النبي ﷺ أذى وهم على قيد الحياة. عن بكير قال: بعثني رسول الله ﷺ يوم أُحُد لطلب سعد بن الربيع وقال لي: إن رأيته فاقرئه مني السلام وقل له: يقول لك رسول الله ﷺ: كيف تجدك؟ قال: فجعلتُ أطوف بين القتلى فأصبته في آخر رمق، وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم، فقلت له: يا سعد؛ إن رسول الله ﷺ يقرأ السلام عليك ويقول لك: «كيف تجدك؟» قال: على رسول الله السلام، وعليك السلام، قل له: يا رسول الله؛ أجدني أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله أن يُخْلَصَ إلى رسول الله ﷺ وفيكم شفر يطرف (أي رمش يتحرك). قال: وفاضت نفسه رحمه الله

[الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه]

فسبحان الله عاشوا على حب رسولهم والدفاع عنه، وماتوا على خير وهم يوصون به، وجراحات كثيرة، ودماء غزيرة دفاعًا عن الإسلام ورسول الإسلام، ليس كلامًا وشعارات.

ثانيا: والنساء فداء لرسول الله ﷺ

ومن النسوة اللاتي تربَّت في مدرسة الحبيب محمد ﷺ من كن مدافعات عن النبي ﷺ وقت الشدة معرضات أنفسهن للقتل. لكنه قليل جلل إذا كان ذلك نصرًا لله ورسوله، والله تعالى قد وصفهم وشهد لهم بالصدق فقال: ﴿... يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر:٨]. من هؤلاء النسوة أم عمارة (نسيبة بنت كعب المازنية).

قال ابن هشام: وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أُحُد، فذكر سعيد ابن أبي زيد الأنصاري أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول: دخلْتُ على أم عمارة فقلت لها: يا خالة

أخبريني خبرك؛ فقالت: خرجْتُ أول النهار أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين (أي الغلبة والنصر للمسلمين)، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ، فقمت أباشر القتال وأذُبُّ عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إليَّ. قالت أم سعد: فرأيتُ على عاتقها جرحًا أجوف له غَوْر، فقلت لها: مَنْ أصابكِ بهذا؟ قالت: ابن قمئة أقمأه الله؛ لَمَّا وَلَّى الناس عن رسول الله ﷺ؛ أقبل ابن قمئة يقول: دلوني على محمد؛ لا نجوتُ إن نجا، فاعترضتُ له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربني هذه الضربة، ولقد ضربتُه على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كانت عليه درعان.

كم تساوي هذه المرأة التي كانت تقاتل الرجال وتنازلهم دفاعًا عن النبي ﷺ رغم الضربات التي تعرضت لها؟

- وهذه امرأة أخرى من أروع الأمثلة في نفس الغزوة - أحد - وقد أصاب المسلمين ما أصابهم، بل وقد أصيبت هذه المرأة في زوجها وأخيها وأبيها، ولا هم لها إلا أن تطمئن على رسول الله ﷺ ماذا فُعل به؟

عن سعد بن أبي وقاص قال: مر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار وقد أصيب (قُتِل) زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأُحُد، فلما نُعُوا لها (أي وصلها خبر مقتلهم) قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرًا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، قال: فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل (أي هينة). قال ابن هشام: الجلل يكون من القليل والكثير وهو ههنا القليل. يعني كل مصيبة تكون قليلة وتهون من أجل رسول الله ﷺ.

[سيرة ابن كثير والبداية والنهاية]

ثالثا: الأطفال يدافعون عن النبي ﷺ

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده قال: بينا أنا واقف في الصف يوم بدر؛ فنظرت عن يميني وعن شمالي فإذا أنا بغلامين من الأنصار، حديثة أسنانهما، تمنيت أن أكون بين أضلَعَ منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم؛ هل تعرف أبا جهل؟ قلت نعم، ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أُخْبِرتُ أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك. فغمزني الآخر فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرتُ إلى أبي جهل يجول في الناس قلت: ألا إن هذا صاحبكما الذي سألتماني، فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: «أيكما قتله؟». قال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال: «هل مسحتما سيفيكما؟». قالا: لا، فنظر في السيفين فقال: «كلاكما قتله». وكانا معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء.

ومعنى (حديثة أسنانهما) أي صغيرين. (أضلَع) أشد وأقوى. (فغمزني) جسني بيده والغمز أيضا الإشارة بالعين أو الحاجب أو نحوهما. (سوادي) شخصي. (الأعجل منا) الأقرب أجلاً. (فابتدراه) أسرعا في ضربه وسبقاه. (فنظر في السيفين) ليرى مقدار عمق دخولهما في جسم المقتول وأيهما أقوى تأثيرًا في إزهاق روحه.

فهذان الصبيان كانا بجوار عبد الرحمن بن عوف رضي الله عن الجميع، ولما رآهما أشفق عليهما وتمنى أن يكون بين مقاتلَيْن أقوى وأشد من هذين الصبيين، لكنه فوجئ بفرسان الملاحم وصقور الحرب. صبيان يقتلان طاغوت قريش ورمز كبريائها ورأس الكفر والعناد والصد عن سبيل الرشاد. رحم الله المعاذَيْن. معاذ بن عفراء، ومعاذ بن عمرو بن الجموح. وإذا كانت الأمة الإسلامية قديما بهذه العزة وهذه الكرامة التي هي منظومة بين جميع أفراد الأسرة الرجال والنساء والأطفال، فما الذي جعل أعداء الإسلام يطمعون في أمة الإسلام ويتوجهون إليها بالإهانة حتى يصل الأمر إلى سب نبيها والوقوع فيه؟

وهؤلاء فتية يتسابقون ويبكون من أجل المشاركة في جيش النبي ﷺ لنصرته.

إن رسولنا ﷺ أخبر عن الداء والدواء في آن واحد.

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: تأيّمت أمي (صارت أرملة)، وقدمَت المدينة، فخطبها الناس، فقالت: لا أتزوج إلا برجل يكفل لي هذا اليتيم، فتزوجها رجل من الأنصار، قال: فكان رسول الله ﷺ يعرض غلمان الأنصار في كل عام، فيُلحِق من أدرك منهم، قال: فعُرِضْتُ عامًا فألحق غلامًا وردني، فقلت: يا رسول الله، لقد ألحقته ورددتني، ولو صارعتُه لصرعته، قال: «فصارِعْه» فصارعته فصرعته، فألحَقَني.

[الحاكم ٢/٢٣٥٦، والبيهقي ٩/١٧٥٨٨]

ولا شك أن إعداد النبي ﷺ لهذا العرض لقبول المجاهدين فيه تشويق للمشاركة، وحرص على القبول، وأسى وأسف لمن لم يلتحق من الصبيان بالمجاهدين، وبذلك يشارك الشباب في الجهاد عن رغبة وحرص، فيبذل روحه سهلة رخيصة في سبيل إعلاء كلمات هذا الدين وهكذا كان أصحاب محمد ﷺ.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن فتى من أسلم (أنصاري) قال: يا رسول الله، إني أريد الغزو وليس معي ما أتجهز، قال: «ائت فلانًا فإنه قد كان تجهز فمرض»، فأتاه فقال:: إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام، ويقول: أعطني الذي تجهزتَ به، فقال: يا فلانة، أعطيه الذي تجهزتُ به ولا تحبسي عنه شيئًا، فوالله لا تحبسي منه شيئًا فيبارَك لنا فيه. [مسلم ٣٥١٠].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يوم بدر يتوارى، فقلت: ما لَك يا أخي ؟ قال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيردّني، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة، قال: فعُرِض على رسول الله ﷺ فردّه لصغره فبكى، فأجازه (قَبِله) عليه الصلاة والسلام. فكان سعد رضي الله عنه يقول: فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره، فقاتل وهو ابن ست عشرة سنة رضي الله عنه. [الحاكم ٣/٤٨٦٤]

ولما خرج المسلمون إلى أُحد للقاء المشركين استعرض النبي ﷺ الجيش فرأى فيه صغارًا حشروا أنفسهم مع الرجال ليكونوا مع المجاهدين لإعلاء كلمات الله، فأشفق عليهم ﷺ وردّ من استصغر منهم، وكان فيمن ردهم عليه الصلاة والسلام رافع بن خديج، وسمرة بن جندب، ثم أجاز رافعًا لما قيل له: إنه رامٍ يحسن الرماية، فبكى سمرة وقال لزوج أمه: أجاز رسول الله رافعًا وردّني، مع أني أصرعه، فبلغ رسول الله ﷺ الخبر فأمرهما بالمصارعة، فكان الغالب سمرة فأجازه عليه الصلاة والسلام.

وهذه أم حارثة بن الربيع، رضي اللهُ عنهما؛ يقول أنس رضي الله عنه أنها أتت النبي ﷺ وكان حارثة ابنها قُتل يوم بدر، أصابه سهم غرب (خطأ)، فقالت يا رسول الله، ألا تحدِّثُني عن حارثة؟ فإن كان في الجنة صبرتُ، وإن كان غير ذلك اجتهدتُ عليه في البكاء. فقال ﷺ: «يا أم حارثة، إنها جِنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى». قال قتادة: والفَردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها.

[البخاري ٢٥٩٨، والترمذي ٣٠٥٨].

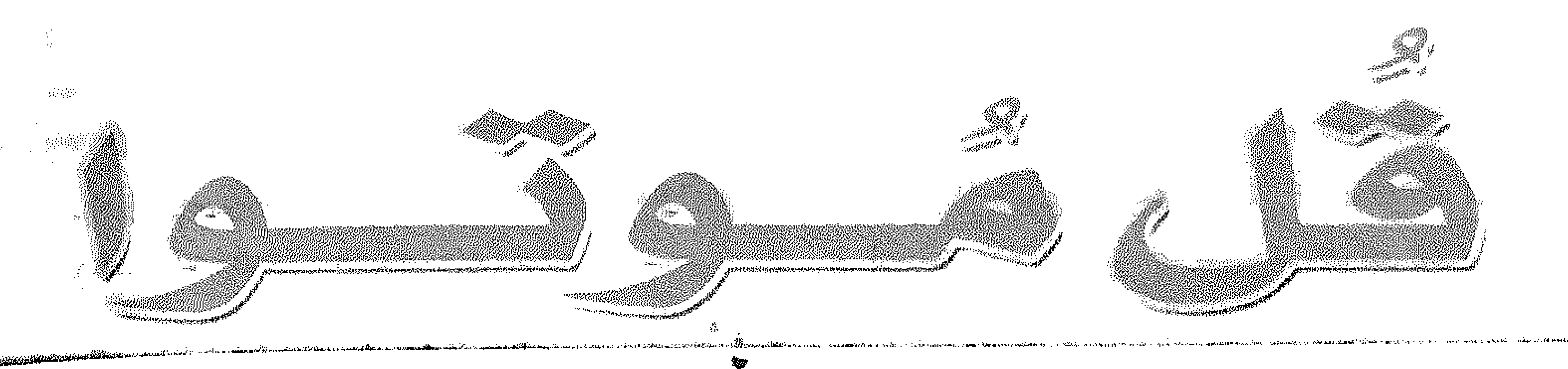
سبب ضعف الأمة

أخرج الإمام أحمد - رحمه الله - عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الآكلة على قصعتها، قال: قلنا يا رسول الله؛ أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: «أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاءً كغثاء السيل، يُنتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويُجعل في قلوبكم الوهن». قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: «حب الحياة وكراهية الموت».

[مسند احمد ح٢٢٤٥٠ بإسناد حسن]

إنه لشيء محزن أن تكون أمة الإسلام يومًا ما كغثاء السيل على كثرة عددها، لأن غثاء السيل هو كل ما يحمله السيل الجارف من على وجه الأرض من ما ينفع ويضر، ومن ما هو طاهر وما هو نجس، فهل يكون أتباع النبي محمد ﷺ بهذا الوصف؟

نسأل الله أن يردنا إلى هدي نبيه ردًا جميلاً، والحمد لله رب العالمين.



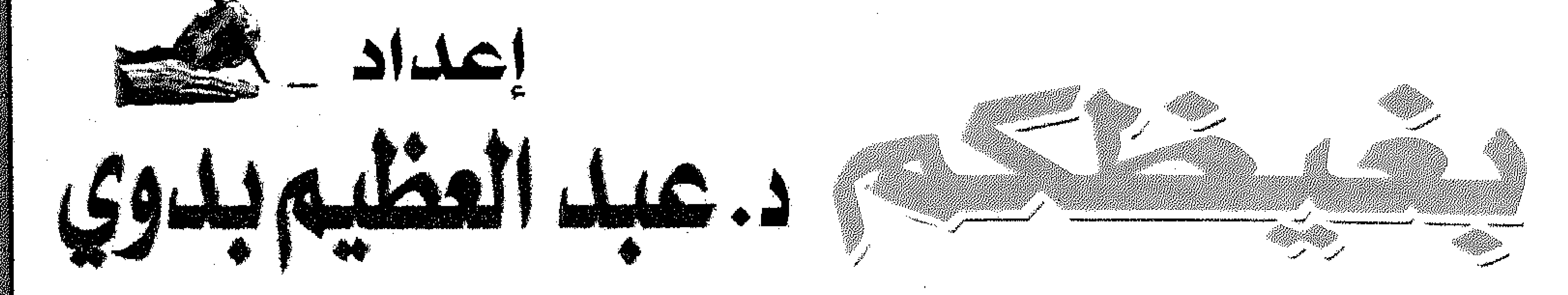
سمع العالم كله بالإساءة لرسول الله ﷺ، والتي تولى كبرها الرسام الدنماركي، وهذا أمر ليس بغريب، فكم أسيء إلى النبي ﷺ في حياته وكم أوذي!

وليس ببدع من الرسل في ذلك، فقد كذبت الرسل وأوذيت، واستهزئ بهم وسُخِر منهم، وهم أعلى الخلق قدرًا، وأرفعهم منزلة، فصبروا على ما كُذِّبُوا وأوذوا، ثم كانت العاقبة لهم بأن نصرهم الله وأهلك أعداءهم، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾؟ كان والله عقابًا شديدًا، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾.

وقد بيّن ربنا سبحانه كيف أخذهم فقال: ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾، فلئن أوذيت يا رسول الله في الله، وكذبك قومك، وسخروا منك، ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾، فهذه سنة الله في الأولين والآخرين، وسيأتيك النصر المبين كما أتى إخوانك المرسلين، ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ التي كتبها بالنصر في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾، وقد يكون النصر في الدنيا بحضرتهم أو في غيبتهم أو بعد موتهم، كما فعل بقتلة يحيى وزكريا عليهما السلام، سلط عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم، وقد ذكر أن النمرود أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وأما الذين راموا صلب المسيح عليه السلام من اليهود، فقد سلط الله عليهم الروم فأهانوهم وأذلوهم وأظهرهم الله تعالى عليهم، ثم قبل يوم القيامة سينزل عيسى ابن مريم عليه السلام إمامًا عادلاً، وحكمًا مقسطًا، فيقتل المسيح الدجال وجنوده من اليهود، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، فلا يقبل إلا الإسلام، وهذه نصرة عظيمة، وهذه سنة الله تعالى في خلقه في قديم الدهر وحديثه، أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ويقرّ أعينهم ممن آذاهم، ولهذا أهلك الله عز وجل قوم نوح وعادًا وثمود وأصحابَ الرس وقومَ لوط وأهلَ مدين وأشباهَهم وأضرابهَم ممن كذّب الرسلَ وخالف الحق.

وهكذا نصر الله نبيه محمدًا ﷺ وأصحابه على من خالفه وكذّبه وعاداه، فجعل كلمته هي العليا، ودينه هو الظاهر على سائر الأديان، وأمره بالهجرة من بين ظهراني قومه إلى المدينة النبوية، وجعل له فيها أنصارًا وأعوانًا، ومنحه أكتاف المشركين يوم بدر فنصره عليهم وخذلهم وقتل صناديدهم وأسر سراتهم فاستاقهم مقرنين في الأصفاد، ثم منّ عليهم بأخذه الفداء منهم، ثم بعد مدة قريبة فتح عليه مكة فقرّت عينه ببلده، وهو البلد المحرم الحرام، المشرف المعظم، فأنقذه الله تعالى مما كان فيه من الكفر والشرك، وفتح له اليمن ودانت له جزيرة العرب بكاملها، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، ثم قبضه الله تعالى إليه لما له عنده من الكرامة العظيمة، فأقام الله تبارك وتعالى أصحابه خلفاء بعده، فبلّغوا عنه دين الله عز وجل، ودَعَوْا عبادَ الله تعالى إلى الله جل وعلا، وفتحوا البلاد والأقاليم والمدائن والقرى والقلوب، حتى انتشرت الدعوة المحمدية في مشارق الأرض ومغاربها، ثم لا يزال هذا الدين قائمًا منصورًا ظاهرًا إلى قيام الساعة، ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لاَ يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾.

ومعنى ذلك أنهم سيعتذرون - رغم أنوفهم - يوم القيامة، بعد أن رفضوا الاعتذار في الدنيا، ولن تنفعهم معذرتهم، ﴿ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ ﴾، وهي الطرد من رحمة الله، ﴿ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾، ﴿ جَهَنَّمَ



يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

وهكذا نصر اللَّهُ رسولَه في حياته، وهو ناصره بعد مماته، ومنتقم من الذين أساءوا إليه، ولو بعد حين، فإن اللَّه يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.

وكيف لا ؟ وهو سبحانه القائل في الحديث القدسي: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب». أي أعلمته بالحرب مني عليه، والوليّ هو كل مؤمن تقي، فإذا آذن اللَّه بالحرب من آذى وليّه، فكيف بمن آذى رسوله ﷺ ؟!

ولقد علم اللَّه تعالى أن من الناس من يغيظهم نصر اللَّه لرسوله، فقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾، «والمعنى: أنه تعالى ناصر رسوله في الدنيا والآخرة لا محالة من غير صارف يلويه، ولا عاطف يثنيه، فمن كان يغيظه ذلك من أعاديه وحُسّاده، ويظن أن لن يفعله تعالى بسبب مدافعته ببعض الأمور ومباشرة ما يرده من المكايد، فليبالغ في استفراغ المجهود وليجاوز في الجد كل حدّ معهود، فقصارى أمره، وعاقبة مكره، أن يختنق خنقًا مما يرى من ضلال مساعيه، وعدم إنتاج مقدّماته ومباديه، ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: فليمدد حبلاً إلى سقف بيته (ثم ليقطع) أي ليختنق، ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ أي: فليصوّر في نفسه النظر هل يذهبن كيده ذلك الذي هو أقصى ما انتهى إليه قدرته في باب المضادّة والمضارّة ما بيته من النصر ؟ كلا».

[تفسير ابي السعود ٤/٣٧٣]

فموتوا بغيظكم فإن اللَّه ناصر رسوله، وقال السعدي: «معنى الآية: يا أيها المعادي للرسول محمد ﷺ، الساعي في إطفاء دينه، الذي يظن بجهله أن سعيه سيفيده شيئًا. اعلم أنك مهما فعلت من الأسباب، وسعيت في كيد الرسول، فإن ذلك لا يذهب غيظك، ولا يشفي كمدك، فليس لك قدرة في ذلك، ولكن سنشير عليك برأي تتمكن به من شفاء غيظك، ومن قطع النصر عن الرسول، إن كان ممكنًا، ائت الأمر من بابه، وارتق إليه بأسبابه، اعمد إلى حبل من ليف أو غيره، ثم علّقه في السماء، ثم اصعد به، حتى تصل إلى الأبواب التي ينزل منها النصر فسدّها، وأغلقها، واقطعها، فبهذه الحال تشفي غيظك، فهذا هو الرأي والمكيدة، وما سوى هذه الحال، فلا يخطر ببالك أنك تشفي بها غيظك، ولو ساعدك من ساعدك من الخلق». [تيسير الكريم الرحمن ٥/٢٨٢]

فموتوا بغيظكم، فإن اللَّه ناصر رسوله ﷺ

وبعد: فإن مما يثلج الصدور، ويقرّ العيون، هذه الغضبة الشديدة التي غضبتها الجماهير المسلمة في العالم الإسلامي كله بسبب هذه الرسوم التي أساءت للنبي ﷺ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن محبة الرسول ﷺ مستقرة في نفوس المسلمين، وأنهم على استعداد تام لفداء الرسول الكريم بالنفس والمال والولد، ولكننا نريد أن نغتنم الفرصة ونقول لهذه الجماهير: هذا الحبيب الذي غضبتم له، كم من سنته تركتم، وكم في دينه أحدثتم ؟ وهذا ينافي المحبة التي ظهرت منكم لحبيبكم، فهلا تركتم ما أحدثتم ؟ وأحييتم من السنن ما تركتم، فتلك هي حقيقة المحبة، فليست المحبة مجرد كلمات تُقال، ولا شعارات تُرفع، وإنما المحبة طاعة واتباع، كما قال اللَّه تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

فهيّا بنا نتعلم سنة نبينا ونعمل بها ونطبقها، حتى نتوضأ كما كان ﷺ يتوضأ، ونصلي كما كان يصلي، ونأكل كما كان يأكل، ونشرب كما كان يشرب، ونعامل ربنا سبحانه وتعالى كما كان يعامله نبينا ﷺ، ويعامل بعضنا بعضًا كما علمنا نبينا، والأمر سهل ويسير على من يسّره اللَّه عليه، فها هو ذاك الكتاب القيم: «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن القيم رحمه اللَّه، فلنقبل على دراسته بنية التأسي بنبينا كما أمرنا ربنا: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

وفّق اللَّه المسلمين لما يحبه ويرضاه. آمين.

واحة

من نور كتاب الله

الرسول ﷺ في التوراة والإنجيل

قال الله عز وجل:

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

أخلاقه ﷺ

عن سعد بن هشام أنه قال لعائشة: يا أم المؤمنين أخبريني عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: ألست تقرأ القرآن ؟ قال: بلى. قالت: فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن. [صحيح مسلم]

صفته ﷺ

عن البراء قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا، وأحسنه خلقًا، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير» [صحيح البخاري]

وعن أنس بن مالك قال: ما مسست بيدي ديباجًا ولا حريرًا ولا شيئًا ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت رائحة قط أطيب من ريح رسول الله ﷺ. [صحيح البخاري]

جهاده ﷺ

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه سئل عن جرح رسول الله ﷺ يوم أحد فقال: أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ ومن كان يسكب الماء وبما دووي، قال: كانت فاطمة - رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ تغسله وعليٌّ يسكب الماء بالمجنّ. فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم. وكُسرت رباعيته يومئذ، وجُرح وجهه، وكسرت البيضة على رأسه. [صحيح البخاري]

شجاعته ﷺ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

«كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأشجع الناس ,أجود الناس.

ولقد فزع أهل المدينة، فكان النبي ﷺ سبقهم على فرس، وقال: «وجدناه بحرا». [صحيح البخاري]

خاتم النبوة

عن ابن السائب قال: ذهبت بي خالتي إلي رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ! إن ابن أختي وَجِع، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، ثم توضأ فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلي خاتمه بين كتفيه، مثل زر الحجلة. [صحيح البخاري]

أسماؤه ﷺ

عن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر، الذي يحشر الناس علي قدمي، وأنا العاقب، الذي ليس بعدى نبي. [صحيح البخاري]

حب الصحابة له ﷺ

سئل علي بن أبى طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ ؟ قال: والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ. [الشفا للقاضي عياض]

جزاء من نال منه ﷺ

عن المهاجر بن أبي أمية، وكان أميراً على اليمامة ونواحيها - أن امرأتين مغنيتين غنت إحداهما بشتم النبى ﷺ فقطع يدها، ونزع ثنيتها وغنت الأخرى بهجاء المسلمين فقطع يدها، ونزع ثنيتها، فكتب أبو بكر: بلغني الذي سرت به في المرأة التي تغنت وزمّرت بشتم النبي ﷺ، فلولا قد سبقتني فيها لأمرتك بقتلها، لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود، فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد أو معاهد فهو محارب غادر. [الصارم المسلول]

علامة محبته ﷺ

قال القاضي عياض: اعلم أن من أحب شيء آثره وآثر موافقته و إلا لم يكن صادقاً في حبه وكان مدعياً،

إعداد/ علاء خضر

فالصادق في حب النبي ﷺ من تظهر علامة ذلك عليه وأولها: الإقتداء به واستعمال سنته وإتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه، وشاهد هذا قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وإيثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهواته. [الشفا للقاضي عياض]

تعظيم سنته ﷺ

عن المقدام بن معدي كرب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا أكل ذي ناب من السبع. الحديث.

[رواه أبو داود]

ذم من لم يصل عليه ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل ذُكِرتُ عنده فلم يصل عليَّ، ورغم أنف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة». [رواه البخاري]

توقير النبي ﷺ في حياته وبعد مماته

قال القاضي عياض: واعلم أن حرمة النبي ﷺ بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره ﷺ وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته.

[الشفا القاضي عياض]

حب الصحابة دليل لحب النبي ﷺ

عن أيوب السختياني قال: من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله، ومن أحب علي فقد أخذ بالعروة الوثقى، ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد ﷺ فقد برئ من النفاق، ومن انتقص أحدًا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة.

[الشفا: القاضي عياض]

من درر العلماء
هذا هو المنهج!

قال ابن تيمية: في قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ قال وبهذه الآية ونحوها كان المسلمون يعملون في آخر عمر رسول الله ﷺ وعلى عهد خلفائه الراشدين، وكذلك هو إلى قيام الساعة، لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمين على الحق ينصرون الله ورسوله النصر التام، فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين، وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين، وبآية قتال الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

[الصارم المسلول ص ٢/٤١٣]

دعوة الأمة إلى نبذ الفرقة

إن الغضب العارم الذي اجتاح العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها علي الذين استهزءوا بالمصطفى ﷺ يجعلنا نتساءل: أين نحن من سنة المصطفى ﷺ، لقد تفرقت الأمة إلى فرق وجماعات، كل حزب بما لديهم فرحون، والرسول ﷺ حذرنا من الفرقة، كما أخرج ابن ماجه: عن عوف بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة؛ واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار».

قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: «الجماعة».

فإن التوحد الذي حدث للأمة الإسلامية أمام أعدائها دفاعًا عن المصطفى ﷺ يجعلنا ندعو جميع المسلمين في جميع البلدان الإسلامية إلي نبذ الفرقة والخلافات، والاجتماع على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، بفهم سلف الأمة رضوان الله عليهم، وأن نلتف حول العلماء الرافعين لواء التوحيد والسنة.



تبًّا وهلاكًا لأتباع أبي لهب

إعداد

معاوية محمد هيكل

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا، اختصه الله بالقرآن، وميزه بجوامع الكلم وفصاحة اللسان، وفضله على جميع مخلوقاته من ملَك وإنس وجان، ختم الله به الرسالة، وهدى به من الضلالة، وبصر به من العماية، وأرشد به من الغواية، فرض على الناس طاعته، وأوجب عليهم محبته، شرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره، وأعلى قدره، وجعل الذل والصغار على من خالف أمره، فصلى الله وسلم وبارك عليه، وزاده رفعة ومكانة لديه، ورضي الله عن آله وصحابته الأكرمين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فمازال الباطل ينفث سمومه من آن لآخر والكفر يطل علينا بوجهه القبيح، فقد تأججت نيران العداوة والبغضاء في قلوب أعداء الإسلام، وغلت مراجل الحقد في صدورهم، وتطاول اللئام على مقام سيد الأنام، مقتفين بذلك نهج أسلافهم من الكفار أتباع أبي لهب وأبي جهل وأنصار مسيلمة الكذاب، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة:١١٨].

كل ذلك تحت شعاراتهم الزائفة ومبادئهم الباطلة التي يسمونها الحرية في التعبير، مع أنه لا يجرؤ أحدهم ولا يقوى أن يتطاول أو يتعرض لجناب رئيسٍ أو زعيمٍ عندهم، وكما قال الشاعر:

يقاد للسجن من سب الزعيم ومن
سب الرسول فإن الناس أحرارُ

إن الجريمة النكراء والفعلة الشنعاء التي ارتكبها الدنماركيون وغيرهم في حق سيد الأنبياء لهي نذير شؤم عليهم وبلاء، وخراب ودمار في الدنيا والآخرة، فسنة الله ماضية فيمن يستهزئ برسول الله ﷺ أو يؤذيه أو يتعرض لمقامه الشريف بالقول أو الفعل، فحينما أكرم قيصر كتاب رسول الله ﷺ وأكرم رسوله ثبت ملكه واستمر زمانًا، وأما كسرى فمزق كتاب رسول الله ﷺ فمزق الله ملكه بدعوة النبي ﷺ [كما أورد ذلك القاضي عياض في كتابه الشفا عن الشافعي رحمه الله] وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب:٥٧]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر:٩٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:٣].

فليسمع «أبرهة» الدنمركي شيئًا مما قاله حسان بن ثابت في الرد على أمثاله دفاعًا عن النبي ﷺ:

هجوتَ محمدًا فأجبتُ عنه
وعند الله في ذاك الجزاءُ
أتهجوه ولستَ له بكفءٍ
فشرُّكُما لخيرِكُما الفداءُ
فإن أبي ووالدَه وعِرضي
لعرضِ محمدٍ منكم وِقاءُ
هجوتَ مباركًا برًا حنيفًا
أمين الله شيمتُهُ الوَفاءُ
فمن يهجو رسولَ اللهِ منكم
ويمدحُهُ وينصرُهُ سواءُ

[مسلم: ٢٤٩٠]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى: إن الله منتقم لرسوله ﷺ ممن طعن عليه وسبه، ومُظهر لدينه ولكذب الكاذبين إذا لم يُمكن الناسَ أن يقيموا عليه الحد، ونظير هذا ما حدثَنَاه أعدادٌ من المسلمين العدول أهلُ الفقه والخبرة عما جربوه مراتٍ متعددة في حصار الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية لما حاصر المسلمون فيها بني الأصفر في زمانهم قالوا: كنا نحن نحاصر الحصن أو المدينة الشهرَ أو الأكثر من الشهرِ وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس منه حتى إذا تعرض أهله لسب رسول الله ﷺ والوقيعة في عرضه تعجلنا فتحهُ وتيسر، ولم يكد يتأخر إلا يومًا أو يومين أو نحو ذلك. ثم يُفتح المكان عنوة ويكون فيهم ملحمة عظيمة قالوا: حتى إن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظًا عليهم بما قالوا فيه ﷺ. [الصارم المسلول ٢/٢٣٣]

مواقف وصور لدفاع الله سبحانه عن نبيه ﷺ

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذممًا ويلعنون مذممًا وأنا محمد». [رواه البخاري ٣٥٣٣]

فكان الكفار من قريش يتركون ذكر النبي «محمد ﷺ الدال على المدح والثناء، ويعدلون إلى ضده ويقولون «مذمم»، ولاشك أن هذا من نصرة الله لنبيه ﷺ لأن الله صرفهم عن أن ينطقوا باسمه الشريف، وعن إيقاع الشتم على رسول الله ﷺ.

٢- وعنه أيضا رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه (أي يسجد ويلصق وجهه بالعفر وهو التراب) بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم.

فقال: واللات والعزى! لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه (رجع يمشي إلى الوراء) ويتقي بيديه، فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولاً وأجنحة.

فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا».

[رواه مسلم برقم: ٢٧٩٧، وأحمد ٢/٣٧٠]

٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: يا صباحا (كلمة ينادى بها للاجتماع عند وقوع أمر عظيم)، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: «أرأيتم إن أخبرتكم أنّ خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟» قالوا: ما جربنا عليك كذبًا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد».

قال أبو لهب: تبًا لك، ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

[رواه البخاري برقم ٤٧٧٠]

٤- امرأة أبي لهب تقود حملة الإيذاء وتناصب النبي ﷺ العداء:

وكانت امرأة أبي لهب - أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان - لا تقل عن زوجها في عداوة النبي ﷺ، فقد كانت تحمل الشوك وتضعه في طريق النبي ﷺ وعلى بابه ليلاً، وكانت امرأة سليطة تبسط فيه لسانها، وتطيل عليه الافتراء والدس، وتؤجج نار الفتنة، وتثير حربًا شعواء على النبي ﷺ، ولذلك وصفها القرآن بحمالة الحطب.

ولما سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها فهر (حجر)، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ، فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر ! أين صاحبك ؟ قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إني لشاعرة، ثم قالت:

مذممًا عصينا * وأمره أبينا * ودينه قلينا

ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله، أما تراها رأتك ؟ فقال: ما رأتني، لقد أخذ الله ببصرها عني. [سيرة ابن هشام: ١/٣٣٥، ٣٣٦]

٥- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحابه له جلوس، وقد نُحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه، فظل في كتفي محمد إذا سجد (والسلا هو المشيمة تكون مع مولود الناقة).

فانبعث شقي القوم (عقبة بن أبي معيط) فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ، والنبي ساجد، ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة. فجاءت، وهي جويرية، فطرحته عنه، ثم أقبلت تشتمهم، فلما قضى النبي صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم. وكان إذا دعا؛ دعا ثلاثًا، وإذا سأل؛ سأل ثلاثًا، ثم قال: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: «اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط». وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذي بعث محمدًا ﷺ بالحق ! لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر، ثم سُحبوا إلى القليب. [قليب بدر].

[رواه مسلم (١٧٩٤)]

٦- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر، فتعاقدوا باللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، ونائلة وإساف، لو قد رأينا محمدًا لقد قمنا إليه قيام رجل واحد، فلم نفارقه حتى نقتله، فأقبلت ابنته فاطمة رضي الله عنها تبكي حتى دخلت على رسول الله ﷺ فقالت: هؤلاء الملأ من قريش قد تعاقدوا عليك لو قد رأوك لقد قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك، فقال: يا بنية أريني وضُوءًا، فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا: ها هو ذا، وخفضوا أبصارهم، وسقطت أذقانهم في صدورهم، وعقروا في مجالسهم، فلم يرفعوا إليه بصرًا، ولم يقم إليه رجل، فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رؤوسهم، فأخذ قبضة من التراب، فقال: شاهت الوجوه (قبح منظرها)، ثم حصبهم بها فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصاة إلا قتل يوم بدر كافرًا». [رواه أحمد في المسند (١/٣٠٣، ٣٦٨)، وصححه أحمد شاكر برقم (٢٧٦٢)]

٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لما فتحت خيبر، أُهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم، فقال رسول الله ﷺ: «اجمعوا لي من هاهنا من اليهود». فجمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقوني عنه؟» فقالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أبوكم؟» قالوا: أبونا فلان، فقال رسول الله ﷺ: كذبتم، بل أبوكم فلان». فقالوا: صدقت وبررت. فقال: «هل أنتم صادقوني عن شيء إن أنا سألتكم عنه ؟» فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كما عرفت من أبينا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أهل النار ؟» فقالوا: نكون فيها يسيرًا، ثم تخلفونا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ: «اخسؤوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدًا».

ثم قال لهم: «هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه ؟» فقالوا: نعم، فقال: «هل جعلتم في هذه الشاة سمًا ؟» فقالوا: نعم. فقال: «ما حملكم على ذلك ؟» فقالوا: أردنا إن كنت كذابًا أن نستريح منك، وإن كنت نبيًا لم يضرك».

[أخرجه البخاري برقم ٥٧٧٧، وأحمد في المسند ٢/٤٥١]

٨- الأرض تتنكر لمن آذى رسول الله ﷺ:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رجلٌ نصرانيًا فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبي ﷺ، فعاد نصرانيًا، فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله، فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعلُ محمدٍ وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا له، فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم، فألقوه خارج القبر، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح قد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس، فألقوه». [رواه البخاري ٣٦١٧]

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فهذا الملعون الذي افترى على النبي ﷺ أنه ما كان يدري إلا ما كتب له، قصمه الله وفضحه بأن أخرجه من القبر بعد أن دُفن مرارًا، وهذا أمر خارج عن العادة، يدل كل أحد على أن هذا عقوبة لما قاله، وأنه كان كاذبًا؛ إذ كان عامة الموتى لا يصيبهم مثل هذا، وأن هذا الجرم أعظم من مجرد الارتداد؛ إذ كان عامة المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا.

[الصارم المسلول ٢/٢٣٣]

٩- حتى الحيوانات تنتقم لرسول الله ﷺ:

كان النصارى ينشرون دعاتهم بين قبائل المغول من أجل تنصيرهم وقد مكن لهم الطاغية هولاكو طريق الدعوة بسبب زوجته الصليبية (ظفر خاتون) وذات مرة توجه جماعة من كبار النصارى لحضور حفلٍ مغوليٍ كبير، عقد لسبب تنصر أحد أمراء المغول، فجعل واحد منهم يتنقص النبي ﷺ ويسبه وكان هناك كلب صيد مربوط فلما أكثر الصليبي الخبيث من ذلك زمجر الكلب ووثب عليه فخمشه فخلصوه منه بعد جهد، فقال بعض من حضر هذا بكلامك في حق محمد ﷺ، فقال: كلا، بل هذا الكلب عزيز النفس رآني أشير بيدي فظن أني أريد أن أضربه، ثم عاد إلى ما كان فيه من سب النبي ﷺ فأطال، فوثب الكلب مرة أخرى على عنق الصليبي وقلع زوره فمات من حينه، فأسلم بسبب ذلك نحو أربعين ألفًا من المغول. [الدرر الكامنة لابن حجر ٣/٢٠٢]

١٠- قصة عجيبة:

يروي الشيخ أحمد شاكر قصة عجيبة عن والده الإمام العلم محمد شاكر والذي كان يعمل وكيلاً للأزهر: يقول أن والده كفَّر أحد خطباء مصر وكان فصيحًا متكلمًا مقتدرًا وأراد هذا الخطيب أن يمدح أحد أمراء مصر عندما أكرم طه حسين، فقال في خطبته: يتملق الأمير وينافقه «جاءه الأعمى فما عبس بوجهه وما تولى»، وهو يريد بذلك التعريض برسول الله ﷺ، حيث إن القرآن ذكر قصته مع الأعمى، فقال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَن جَاءَهُ الأَعْمَى﴾ [عبس: ١، ٢]، فبعد الخطبة وقف الشيخ محمد شاكر أمام الناس وقال لهم: إن صلاتكم باطلة، وأمرهم أن يعيدوا صلاة الجمعة؛ لأن الخطيب كفر بهذه الكلمة التي تعتبر شتمًا لرسول الله ﷺ عن طريق التعريض لا التصريح.

لكن الله تعالى لم يدع لهذا المجرم جرمه في الدنيا قبل أن يجزيه جزاءه في الآخرة. يقول الشيخ أحمد شاكر: فأقسم بالله لقد رأيته بعيني رأسي بعد بضع سنين وبعد أن كان عاليًا منتفخًا مستعزًا بمن لاذ بهم من العظماء والكبراء؛ رأيته مهينًا ذليلاً خادمًا على باب مسجد من مساجد القاهرة يتلقى نعال المصلين يحفظها في ذلٍ وصغار حتى لقد خجلت أن يراني وأنا أعرفه وهو يعرفني - لا شفقة عليه فما كان موضعًا للشفقة ولا شماتة فيه فالرجل النبيل يسمو على الشماتة - ولكن لما رأيت من عبرة وعظة.

وفي الختام نقول لأمثال أبرهة الدنمركي وغيرهم ممن تُسَوِّلُ له نفسه التطاول على مقام النبي الأمين اخسئوا فلن تَعْدُوا قدركم، فالله حافظ دينه وناصر نبيه، وعلى الحكومات الإسلامية المطالبة بمحاكمة هؤلاء الذين تعرضوا بالأذى لرسول الله ﷺ في محاكم إسلامية وفقًا لشريعتنا المطهرة، حتى يكونوا عبرةً وعظةً لغيرهم.

اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك الصالحين.

والحمد لله رب العالمين.



الحمد لله الذي أسبغ علينا نِعمًا عِدادًا، وبعث فينا سراجًا وقّادًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له توعّد الأفاكين لظى مِهادًا، فقد رضّوا للمؤمنين أكبادًا، وأشهد أنّ نبيّنا وسيّدنا محمّدًا عبد الله ورسوله أعظم البريّة قدرًا وشرفًا، وأرأفهم فؤادًا، صلى الله وسلّم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه الذين عزّروه ووقّروه وأمضوا في محبّته أرواحًا وأجسادًا، وكانوا في نصرته ضَراغمَ وآسادًا، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد: يا أيها الناس اتّقوا الله عز وجل حقّ التقوى، فمن اتّقاه أفلح في دنياه وسلِم، واستبشر في أخراه وغنِم، ومن أعلى مراتب تقواه التي نبلغ بها القِمَم الانتصارُ لسيّد العرَب والعجَم والذبُّ عن صفوة هذه الأمّة وخيار الأمم، فبذلك تُنال غاياتُ المُنى ونِعَم، ونِعِمًا ذلك نِعِمّ.

الإسلام نور البشرية

أيّها المسلمون، تبصُّرًا في أغوارِ التاريخ واستكناها لحِقَب الحضارات يُلفي المتأمّلُ أممًا لفّها ظلامٌ من الاستبدادِ مطبقٌ مُريع، بيدَ أنه يحمل في طيّاته نورًا يُرتقَب وأمّة في سموِّها تُزاحِم الشُّهُبَ. فها هي الرسالةُ المحمّدية العالميّة - على صاحبِها أفضلُ الصلاة وأزكى التّسليمات - تترَى بُكرةً وعشيًا، يُصيخ بلهفِ لها الزمان، وها هو فجرُ الأمّة الإسلامية يشرِق في كلّ مكان، وتتفتّح لها غلَق الأذهان، ويرِفّ ببركتِها وعظمتها كلُّ جَنان، قد حملت هذه الرسالةُ الخيرَ كلَّه والبرَّ دِقَّه وجلَّه والهدى أجمَعَه والعَدلَ أكتَعَه؛ فبالإسلام أشرَق التاريخ، وبهدي سيّد الأنام عرفتِ الإنسانيّة معنى وجودِها، وعلى هدي مُثُلنا وقِيَمنا رتقت الحضاراتُ صدعَها ولمّت شعثَها، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤].

ولا يزالُ هذا الغيثُ الصيِّب المنهمِر يفتح المجاهِلَ بلا هادٍ، ويعبُر القارّات دونَ اتِّئاد، ولقد اقتضَت حكمتُه سبحانَه أن يكونَ المبلِّغ الأمين عن ربّ العالمين الرحمةُ التامّةُ والنّعمَة العامّة محمّدَ بنَ عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه، النّبيُّ الرؤوفَ الرحيم الوَصول، زاكيَ الفروع وساميَ الأصول، وكان الهَمُّ الذي بخَع نفسَه واسترقّ حِسَّه - يا أمّة الإسلام - انتشالَ البشريّة من مَوماتِ البغي والعنصريّة والأوثان إلى العدل والرحمة والإحسان، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

ولا تزال عظمةُ رسالته وخصائص نبوّتِه

ميدانًا فسيحًا للمتأمّلين ومَنهلاً رويًا للباحثين المنصفين، كما هي نديّةٌ نضرة على الدوام، بل كلّما تمكّن الصـراع بين الحقّ والبَـاطل - وها أنتم تعايشونه - ازدادت عَبقًا واخضرارًا.

حب الصحابة للنبي ﷺ

معاشر المسلمين، أحبابَ سيِّد المرسلين، وهذا النبيّ الأميّ الزكيّ الرّضيّ مبشَّرٌ بصفاته البلجاء وشريعته الغرّاء من قِبَل إخوانه الأنبياء والمرسلين، يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

فيا عَجبًا! كيف يجحَد ذلك الجاحِدون ويَلَغ فيه المستهزئون؟! وليس ذلك فحَسب، بل إنّ هديَه عليه الصلاة والسلام هو الجامع لما تفرّق فيهم من الفَضائل والمحامِد، وشريعتُه ناسِخَة وخاتمةٌ لجميع الملل والشرائع، وقد توعّد سبحانه من خدش قدسيّة رسالاتِ الله في أشخاص حملَتها ومُبلِّغيها منَ الأنبياء والمرسلين بالعذاب الأليم، وهو محادٌّ كلَّ المحادّةِ لجلال الله وعظمَته، كيف وهم عليهم الصلاة والسلام موضعُ حفاوته واصطفائه لبلاغ وحيه جلّ وعلا؟!

إخوةَ الإيمان، ومن تمام منّة الكريم الوهّاب أن سوَّر هذا النبيَّ الأوّاب بكرام الصحابة ذوي النخوة والنجابة والفضلِ والإصابَة، أصفياء أخيارٌ، كُماةٌ أبرار، على عظمة كلِّ فردٍ منهم تقوم دولة وتنهض أمّة، وحبُّهم لنبيِّهم ﷺ أمرٌ تجرض به اللُّهاةُ، وتتقَصّف دونه الأسَلات، سَأل أبو سفيانَ زيدَ بنَ الدَّثِنَّة رضي الله عنه وهو في الأسرِ قائلا: أنشدكَ اللهَ يا زيد، أتحبُّ أنّ محمّدًا الآنَ عندنا في مكانك تُضربُ عنقُه وأنت في أهلك ومالك؟ فَرجف زيد قائلاً: والله، ما أحبّ أنّ محمّدًا الآنَ في مكانِه الذي هو فيه تصيبُه شوكةٌ تؤذيه وأنا جالسٌ في أهلي ومالي، فصاح أبو سفيانَ دهِشًا وقال: واللهِ، ما رأيتُ من الناسِ أحدًا يحبّه أصحابُه كما يحبّ أصحاب محمّد محمّدًا. الله أكبر، زيدٌ أَحبَّ، فَفَدَّى الحبيبَ وعنه ذَبّ.

تزِن الجِبالَ رزانةً أحلامُهم
وأكفُّهم خَلَفٌ من الأمطارِ
والباذلين نفوسَهم لنبيِّهم
يومَ الهياجِ وسَطوةِ الجبّارِ

وما ذاك إلاّ كِفاءَ نفسٍ غَنِيَت بالرَّحمة والسِّلم والحبّ والحِلم، وخلصت إلى أعلى مراتب الصدقِ والطهر والعلم، فللّه ما أعظمَ هذا الدِّين، وما أقوى إيحاءَه، ولله ما أكرمَ هذا النبيَّ الجليل وأبهرَ بهاءَه، وما أجلى هديَه وسناءَه.

لو أطلق الكونُ الفسيح لسانَه
لسرت إليك بمدحِه الأشعارُ
لو قيل: من خيرُ العباد؟ لردّدت
أصواتُ من سمعوا: هو المختارُ

عليه الصلاة والسلام.

استطالة أهل الكفر على النبي ﷺ

معاشرَ المسلمين في كلّ الأصقاع، إخوة العقيدة في كلّ البقاع، يُذكِّر بذلك - أيها المحبون - في هذه الآونة الأخيرةِ التي غشّى الكونَ فيها لَيلٌ ثقيل، ولفَّه صَمتٌ مكدودٌ عَليل، وتصدّع فجر المسلِمين عن فاجعةٍ تاريخيّة سَفعاء، حيث نعَبَت أصوات بالإفكِ والبهتان، وجرت أقلامٌ في أودية الزّور والضلال والعصيان برسوماتٍ حاقدةٍ ماكرة، تنهدّ لها القامة، وتتزلزل لها الهامَة، لقد استطالوا ويًا ويحهم، وتعَجرفوا ويا ويلهم، فسخِروا من أعظم جَناب وأكرم من وطئَ الترابَ نبيّنا محمّد ﷺ، استهزأ عُتُلٌّ غُمروط برسول ربِّ العالمين ورحمةِ الله للخلائق أجمعين، إمام الأنبياءِ في الأرض وفي السماء، أبرّ الأمم على الإطلاق، وأعظمهم بإطباق، صاحِب المعجزات الظاهرات والآياتِ الباهرات.

سقطت مكانةُ شاتمٍ وجزاؤه
إن لم يتُب مما جَناه النارُ

ربّاه ربّاه، أيهزؤون برسول ربِّ الأرض والسماوات؟! أيَهزؤون بسيّد البريّات؟! أيتطاوَلون على الرحمة المهداةِ؟! أينتقِصون النعمة المسداة؟!

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [الأحزاب:٥٧].

لقد جاءت تلك النفوسُ الباغيَة التي لو صُوِّر الرِّجس والخبثُ كياناً لما تعدّاها، لقد جاءت شيئًا إدًا، يخرّ له الكون هدًا، تبَّت لهم يدًا، وخُفِقوا أبدًا، يَستهزئون ويشتفون، ويشهِّرون ولا يكتفون، ويتبجّحون بما ائتُفِك ولا يختفون، قال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة:٦١]، ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر:٣].

بأبي وأمّي أنت دونك مُهجتي
في صدرِ من سلقوك أغرسها مُدى
ما انتقصوك فأنت أجلّ خَلـ
ـقِ الله منزلةً وأكمل سؤددا

هيهاتَ أن تطيبَ لنا حَياةٌ، وأنّى نؤمِّل نصرًا أو نجاةً ولم نتقحّم لنصرةِ الهادي الحبيب لجَّةً ولا فَلاة؟! يا للبهيسَة وعظيم الفرية! أين الأعراف الدوليّة؟! أين العالَم بهيئاتِه ومنظّماته حِيال هذه الجريمةِ النكراء والفعلةِ الشنعاء؟! أين عقلاءُ العالم ومنصفو الإنسانيّة حيال هذا الاستهزاء؟! أين المواثيق العالميّة التي تصدُّ هذا البهتان والافتراء؟!

واجب أمة الإسلام

فيا أمّة المِليار، ماذا قدّمتِ لنصرةِ المصطفى الحبيب المختار؟!

إنّا ليؤلمنا تطاوُلُ فاجرٍ
ملأت مشاربَ نفسه الأقذارُ
ويزيدنا ألمًا تخاذلُ أمّةٍ
يشكو اندحارَ غثائها المليارُ

تجريم سب الأنبياء

إنّ دُوَل الإسلام وما فوقَها وما دونها أطرافَها وحُصونها والغبراءَ سهولَها وحُزونَها يجرّمون هذا الفعلَ الأثيم، ويستفظعونَ هذا الجرمَ اللئيم. وإنّنا نوجِّه ألهبَ النداء من منبر المسجد الحرام من منشَأ رسول الإسلام ومبعثِه ومَرباه، ونَستصرخ باسمِ المسلمين جميعًا مُطالبين بإيقاع العقوبات المغلَّظة دونَ هوادةٍ على المستهزئين بالجناب المحمّديّ والمقام المصطفويّ، بُؤبؤ العيون، المنزَّه عن كلّ وصمة ودون، وكلِّ من واطأ الباغي وأعاد نشر تلك الرسوم؛ كي تُصانَ شرائع السّماء وتعظَّم مقاماتُ الأنبياء في كلّ زمان ومكان، مع المطالبة بتفعيل القراراتِ الدولية التي تَدين وتجازي تلك الجرائمَ والمخازي. لا بدَّ من تطبيق المواثيق العالميّة والقرارات الدوليـة التي تحاكم كلَّ مَن يتجرّأ على الله ورسلِه وأنبيَائه ومُقدّساته، وتقاضي كلَّ من يتطاول على الشرائع والرسل والمقدّسات.

إنّ هذا الهزءَ والإدقاعَ عبرَ الشبكات والصّفحات ـ وايمُ الله ـ لو قوبِل به غيرُ نبيِّنا ﷺ لأراق فيهِ أحبابُه أنهارًا من الدِّماء، ولكان لهم مُنّةٌ من برهان وحجّة من سُلطان، فما بالُنا بأعظم الأنبياء قدرًا وأفضلِهم فضلاً وأعلَمهم بالله وأكرمهم على الله محمّدٍ خيرِ الأنام عليه من ربّه أفضل صلاة وأزكى سلام، النبيِّ الأكرم والمصطفى الأعظم، صاحِب المقام الأطهر والسَّنى الأغرّ؟!

هَجوتَ مُباركًا بَرًّا حنيفًا
أمينَ الله شيمتُه الوفاءُ
فإنَّ أبي وَوالدَه وعِرضي
لعِرضِ محمّدٍ منكم وِقاءُ

يقول شيخ الإسلام ابن تيميةَ رحمه الله: "ولا ريبَ أنَّ من أظهر سبَّ الرسول ﷺ وشتْمَه فإنّه يغيظ المؤمنين ويؤلمهم أكثرَ ممّا لو سفَك دماءَ بعضهم وأخَذ أموالهم، فإن هذا يثير الغضبَ لله والحميّةَ له ولرسوله ﷺ"، ويقول رحمه الله: "من سنّة الله أن من لم يتمكّن المؤمنون أن يعذِّبوه منَ الذين يؤذون الله ورسوله فإنّ الله سبحانه ينتقِم منه لرسوله ويكفيه إيّاه، وكلّ من شانَأه وأبغضه وعاداه فإنّ الله يقطَع دابرَه ويمحَق عينَه وأثرَه".

ألا فلتعلم الأمة جمعاء والعالَم بأسرِه أن الله عزّ وجلّ ناصرُ حبيبَه ومصطفاه وخليلَه ومجتباه، ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴾ [التوبة:٤٠]، ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [الحجر:٩٥].

ما نالَ منك مُنافق أو كافر
بل منه نالت ذلّةٌ صَغارُ
حلّقتَ في الأفقِ البعيد فلا يدٌ
وصلَت إليك ولا فمٌ مهذارُ
أعلاك ربُّك همّةً ومكانةً
فلَك السموُّ وللحسود بَوارُ

المعايير المزدوجة

أيّها المؤمنون، وإنّ هذا الحدث الذي أرجف العالمَ ليُعَجِّب الغُيُر ويحملهم على الاصطراخ والنداء: خبِّرونا - يا هؤلاء - عن حريّة التعبير وضوابطها؛ فإنّا في زعمكم نسيناها، ولتُنبِّئونا عن مواثيق قدسيّة الرسل والرسالات؛ فإنّا في ظنّكم أغفلناها، أفلا تكون حريّةُ التعبير إلا حينما تُسَبّ مقدّسات المسلمين ويُنال من عظمائهم ويوقع في أنبيائهم؟! لكنّها المعايير المزدَوَجة والمكاييل المضطربة.

عجبًا لهذا الحقد يجري مثلما
يجري صديدٌ في القلوب وقارُ

وإذا سُخِر من عظيم الدّنيا برمّتها بين من يزعمون الالتئامَ على المبادئ والحقوق والرّقيِّ والشرف فهيهات أن لا تُخفَر بينهم العهود وتخيس الذِّمَم.

ويحكم يا هؤلاء، أحيوا العدلَ والصدقَ وانشروه، وأميتوا الصَّلَف والزَّيفَ واقبروه؛ تأمنوا البوائقَ التي يُخشَى اندلاعُها.

وإنّه لا يخفى على النَّصفَةِ والعقلاء أنّ هذه الآفةَ الخُلُقيّةَ الدنِسةَ التي انتهكت باستهزائها بالنبيِّ ﷺ حرمةَ مليارٍ ونصف من المسلمين وتهكّمت بمشاعرهم لتهوي بالأمَل في النهوض بدَعاوى احترام الآخر ودعاوى التسامُح وحوارِ الحضارات ودعاوى نشرِ السلام والوئام وما إليها من شنشِنَ أخزميّة، نعم تهوي بذلك كلِّه إلى يَهماءَ قَرِق، لا بَاطلاً تردُّ، ولا زورًا تَقِي.

ولقد استبان لكلِّ ذي بَصيرة من الذي يغذِّي التطرّفَ والإرهَاب، ويُذكي العنصريّة والعنفَ والكراهية بين الشعوب، ويؤجِّج الإقصاءَ وصِراع الحضارات. وأمّا الذين استناموا وأصمّوا آذانهم عن نِداءات الاستفظاع لهذا الحِقد الدفين، واستدبَروا صرخاتِ التجريم واستنجازِ التحكيم فقد خانوا أماناتهم ودياناتهم، ولن يضرَّ الإسلام وسيدَ الأنام شيئا، ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة:٢١].

بشريات

أمّةَ الإسلام، وإنّ تِلكم الهبّات الصارمة والغضبات العارِمة لنصرة خيرِ العباد في أقصى البِقاع وشتى البلاد بمتنوّع الوسائل والطّرائق لا سيّما موقف بلاد الحرمين الشريفين الرسميّ الحازِم والشعبيّ الحاسِم وسائر البلاد الإسلاميّة وأحباب رَسول الله صلى الله عليه وسلم في كلّ مَكان لشدُّ ما أبهجتِ الغيور، وشَرحت بالبِشر الصدور، وكذا ما خطّته الأسَلات، فقد نوّرت من المحبِّ المُقَل، وآستِ الكَلمَ وحلَّتِ العُقَل.

الله أكبر، بصوتٍ واحد ملايين المسلمينَ في الأرض ترفع الشعار التاريخيّ: "إلاّ رسولَ الله"، وترفُض الاعتذارَ، وتطالِب بالمحاكمةِ. يا لها من مَواقفَ مؤثِّرةٍ، تُذكي عِزّةَ المسلمين ووَحدتهم، وتعزِّز مكانَتَهم دوليًا وهيبتهم عالميًا، ولقد قال الله عز وجل في إفك أسلافهم: ﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [النور:١١].

ولَعمرو الحق، لقد زَفّت لنا تلكُم الهبّاتُ والغضبات موقفَ المقاطَعةِ السياسيّة والاقتصاديّة الصامِد منظومَ الأكاليل، وهذا القرارُ الحاسم وسواه سيتلُّ هؤلاء إلى قُضبان الذلّة والمحاكَمة تلاً، وأمّا الذين اثّاقلوا عن نُصرة المجتبى والتّنديد ولم يُبالوا بالّه فليتّقوا الله عزّ وجلّ، وليفيئوا إلى هذا المسعى الحميد.

ألا فلتشلّ الأيدي وتخرَس الألسن وتتقصّف الأقلام وليجفّ المداد وليناَ الإعلام إن لم يجَنَّد في الدفاع عن سيِّد الأنام رسول الهدى والرحمة عليه الصلاة والسلام.

ضبط العاطفة والانفعالات

وليكن منكم بحسبَان - يا رعاكم الله - أنّ التهاب العواطف دون أناةٍ ورَويّة هو الهُوجُ القواصف التي تُسلِم الحججَ السائغة للعدوِّ الكمين المتربّص على أنّنا أمّة - بزعمهم - لا تَني، تصطَخِب وتضطرب دون ضابط أو رابط. فالله اللهَ في ضبطِ العواطف وترشيد الانفعالات وعدم الاسترسال وراءَ أحلام ومنامات ورسائل هواتِف محمولات وما إليها وتفعيل نُصرة المصطفى ﷺ تفعيلاً منهجيًا وتاصيلا إيجابيًا، ينطلِق من عقيدةٍ راسخة ونصرةٍ دائمة، لا تمليها ردودُ أفعال طارئة، فلتلجموا - يا أحباب رسول الله ﷺ - العواطفَ بلِجام التعقّل والحِكمة والتحرك الإيجابيّ العمليّ في نصرةِ النبيّ الهاشميّ بأبي [هو] وأمي ﷺ.

إنّي أقــول وللـدمــوع حكاية
عَن مـثلهـا تتـحـدّث الأمطار
إنّا لنعلم أن قـدر نبيـنا أسـمى
وأنّ الشـانئـيـن صـغـار
لكنّه ألم المحبّ يزيده شـرفـا
وفـيـه لمن يحبّ فـخـار

فإنّا لله وإنّا إليه راجعون. استرجاعٌ على ضلوعٍ مِن الإساءة لنبيّنا تحترق، ودموعٍ هاميةٍ تستبِق. نعم استرجاعُ سنّة وثقةٍ وبأس، لا قنوطٍ ويأس، فالألسن الغضاب تفري فَريَ الصوارم العضاب، فالله المستعان، وإليه المشتكى، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

فاتقوا الله عبادَ الله، وأطيعوه، وتوبوا إليه واستغفروه، ونافِحوا عن حياض الحبيب المجتبى، وكونوا خيرَ من شفى في ذلك وكفى، وحقّقوا النصرةَ والوفا في الذبّ عن جناب النبي المصطفى.

أيها الإخوة الأحبة في الله، وما تخوضه الأمّةُ من قمع الإساءةِ لنبيّها ﷺ فلِما أوجبه الله عز وجل من تعزيره وحبّه وتوقيره وحمايته من كلّ مؤذٍ وشاني، ومِن المتقرّر أنّ المولى الحقّ سبحانه قد أغناه عن نصرةِ الخلق، ولكن ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [الحديد:٢٥].

حقيقة نصرة النبي ﷺ

ولتدركوا - يا أحباب رسول الله ﷺ رعاكم الله - أن نصرةَ رسول الله ﷺ ليست في زعومٍ ودعاوى تُنشر، ولا عواطفَ وانفعالات تُبثّ وتُنثر فحسب، كلاّ، فلن يغنِيَنا صَفّ الحروف إذا لم ننكِر بسنّته المنكرَ ونعرف المعروف. إنّ نصرته الحقيقيّة في اتّباع هديه وسنته عليه الصلاة والسلام واقتفاء سُنَنه ومحبّته وعدم مخالفته.

ودعوةٌ ملتهبة حرّاء أن يا قادةَ المسلمين في كلّ مكان ائتلفوا على نصرةِ نبيكم حقًا، وهبُّوا لتجريم هذه الفِرى النّكرا بكلّ ثِقلكم السياسي والاقتصاديّ، حكّموا شرعَ الله عز وجل وسنّةَ نبيّه ﷺ، وارمُقوا أحبابَه بمقلةِ الوِداد والإخاء، وعلى محبّته وطاعتِه فليكن الولاء والبراء.

لن تهتدي أمّة في غير منهجه
مهما ارتضت من بديع الرأي والنُظُم

خاطبوا بعزم عقلاء العالم وشرفاءَه للتحرك الجادّ في صدّ هذهِ التطاولات وردّ هذه التجاوزات والاستفزازات.

أيّها العلماءُ والدعاة، طلاّب العلمِ الكفاة، ذبّوا عن جناب المصطفى الكريم، وانشروا سنّته خفّاقةً في العالمين، اعقدوا الدروس والمحاضرات والندوات لتعريفِ العالم بشمائله وفضائِله، وجّهوا الأمّةَ إلى حقيقة الائتساء به ومحبّته.

أيّها المؤتمنون على وسائل الإعلام، أيّها المفكّرون وحملة الأقلام، اغتنموا هذه النُّهزَة السانحة لنشر سيرته العطِرة بمختلف اللغات والترجمات؛ لتعبرَ العالَم والقارّات، خبِّروهم أنه رسولُ الإسلام والسّلام وأمين وحيِ الملك العلاّم، وأنه - بأبي هو وأمّي - جاوز في الشّرفِ والقدر الجوزاء، وفي العظمةِ والسناء بَلَغًا في السماء، وشَعّوا في بركاتِ رسالته وهديه المؤلّفات والنشرات والقنوات والشّبكات، انبرُوا خفافًا وثِقالا لبيان محاسن الدين، أشهِدوا الدنيا والتاريخَ أن سيرة الحبيب ﷺ دونها الشمسُ إشراقًا، ودونها السِّماك سموًّا وائتلاقا. وعسى الله أن يُقرَّ الأعين ويشفِيَ الصدور بقنواتٍ إسلامية فضائيّة عالمية تبثّ بلغةِ القوم، تقول للعالم: هذا دينُنا الوضّاء، وهذا نبيّنا ذو الشمائل القعساء، ودون هذه هممُ ذوي اليسار والثراء.

فيا رجال المال والأعمال، أنفِقوا مما آتاكم الله في نصرة سيّد المرسلين ودَعم الخطَط التي تنسف مكائد المستهزئين بخيرةِ الخيَر وسيّد البشر عليه الصلاة والسلام.

أيّتها الأخوات المسلمات الفُضليات، انصرن نبيكنّ وسنّته بالتمسك بالحجاب والحِشمة والعفاف والحَذر من التبرج والسفور والاختلاط المحرّم ومكائد التغريب ودعاوى الإسفاف، نشّئن الأجيال أحلافَ محبّته وطاعتِه، وروّوهم من معينِ منهجه وسيرتِه ﷺ، وبِذلك تتحقّق نصرة الأمّة بكافة أطيافها وشرائِحها لنبيّها وحبيبها محمّد ﷺ.

هذا، والحمد لله رب العالمين.



تتابع الخطوب وقسوة القلوب

إعداد التحرير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإنه في الفترة الماضية قبل هذا الشهر مس بلاد الإسلام عامة، وبلادنا خاصة خطوب عظيمة وكروب جسيمة، وجروح أليمة، وقبل أن يلتئم جرح ينثلم جرح آخر، حتى تكاثرت الجروح، فأثقلت الأمة القروح، وكثر الكلام والجدل، وزاد الخصام والملل، ولا يزال الناس يخوضون، لا يدرون إلى أين تتجه بهم الريح، ولا متى تسكن العواصف.

وإن العاقل المتزن الذي جعل صلاته ونسكه وحياته ومماته لله رب العالمين، هو الذي سلم من هذه المتناقضات إلى حد كبير، فما من حدث في البر والبحر، وما من حبة تنبت، وما من ورقة تسقط ولا حركة أو سكنة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين، لا يعزب عن الله تعالى منها مثقال ذرة، وعلى المسلم أن يعلم أن ربه سبحانه مدبر الأمور وكاشف الضر والشرور، قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٦٢].

ولقد حدثت أحداث اهتزت لها قلوب العباد بدءًا من غرق سفينة أزهقت معها الأرواح العديدة، ثم ما عم البلاد مما أطلق عليه بـ «أنفلوانزا الطيور»، ثم الإشاعات التي تحدث البلبلة بين العباد فيتخبطون يمينًا وشمالاً لا يدرون أين الحقيقة، فيكثر الخوض والجدال، وينشغل الناس بما يصرفهم عن جادة الأمر حتى في صلاتهم وعبادتهم.

وكان الواجب على أهل الإسلام إذا مسهم الضر أن يتضرعوا إلى الله ليكشفه عنهم، نعم لا بد من التحليل للأحداث ومعرفة أسباب بعض الحوادث، ومدى الجدية أو القصور في التعاملات بين الناس.

لكن في جملة الأمر فإنه: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء:٧٩].

والله تعالى دعانا إلى اللجوء إليه عند الشدائد، لأن الانصراف عن دعائه وترك اللجوء إليه قسوة شديدة في القلب، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون:٧٦].

أما أن ننشغل بالحديث عن الغلاء والكلام عن التطورات والتداعيات التي ستعقب ما نحن فيه، ثم سب الأيام والأنام والمتسببين والمتضررين وترك اللجوء لرب العالمين فإنه من الانصراف والغفلة وعدم إدراك موطن الداء ونوع الدواء.

وليحذر المسلمون ممن سيقول لهم: كل شيء علقتموه على الذنوب، لماذا هذه النظرة المتشائمة ؟

وليكن أهل الإسلام على بينة من أمرهم فلا يطيعون أمثال هؤلاء، فإن طاعتهم دفن للرأس في الرمال، وهل من دفن رأسه في الرمال سيأمن الخطر ويدفع الضرر؟

ولقد قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥- ١٥٧].

فالهداية والحق والصواب في الصبر على البلاء والشكر على السراء: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء:٧٨]، وإذا عرفت الأمة التضرع واللجوء إلى ربها عند الشدة فهذه خصلة عظيمة تحقق العبودية لله جل وعلا، لسان الحال والمقال فيها الاعتراف بأننا لله وإليه راجعون، وكما قال ربنا: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر].

نسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، والحمد لله رب العالمين.



المسلمون بين التميز والتميع

لفضيلة الشيخ سعود بن إبراهيم الشريم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

إنّ قوّةَ المسلم ورفعتَه وعلوَّ شأنه لتكمُنُ بوضوحٍ في مدى اعتزازه بدينه وتمسُّكِه بعقيدتِه وأخلاقِه ومبادئه، وبُعدِه عن لوثةِ التقليد الأعمى والتبعيةِ المقيتة وراء المجهول. وإنّ على رأس الاعتزاز والرّفعةِ التي هي مطلَب منشود لكلّ مجتمع - بله المجتمعات المسلمة - هو الاتباعَ والاقتداء بهديِ المصطفى ﷺ والبُعدَ عن الإحداث والابتداع، اتِّباعًا ملؤه التأسِّي المخلِص والمحبّة الدّاعةُ إليه، اتباعًا يُشعِر كلَّ مسلم ومسلمةٍ أن الخضوعَ في الدين والخلق والأدب إنما هو لله الواحدِ الأحد؛ إذ كيف يحلو دين لا خضوعَ فيه ولا اتباع؟! ومن هذا المنطلق جاءَت الوصيّة الكبرى من الخالقِ جلّ شأنه لعبادِه المؤمنين بقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

فكلُّ سبيلٍ غير صِراط الله عليه شيطانٌ يدعو إليه، فيحبِّب سالكيه إلى البدَع، ويبعِدهم عن السنّة، وهي مرحلة من مراحلِ المراغمةِ بين الشيطان وبني آدم، وغوايةُ الشيطانِ وحبائلُه كالكلاليب التي تتخطّف السالكين إلى مستنقعاتِ الدون والعَطَب؛ ليقع فيها المرتابُ المتردّد الذي خَلِي وفاضه عن أسس الاتباع والتمسك بالسنة النبوية، فإمّا أن يكونَ ضحيّةَ النكوص والاستهتار لأوّل وهلةٍ، أو أن يصبح ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٧١].

المحبة الحقيقية للنبي ﷺ

أيّها المسلمون، لقد كان مِن أسُس محبّة الله جل وعلا من قِبَل عباده أن يجعَلوا من وسائل هذه المحبّة الاتباعَ الصادقَ لنبيّه ﷺ؛ ليحسنَ القصد ويصدُق الزّعم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ × قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:٣١، ٣٢].

ولِذا - عبادَ الله - كانت البِدَع والمحدثاتُ التي تقَع في المجتمعاتِ كالطوفان المغرِق، بيدَ أن السنّةَ الصّحيحة والاتِّباع الصادقِ هما سفينةُ نوح التي من ركِبها فقد نجا ومَن تركها غَرِق، ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم.

في الصحيحَين من حديث عائشةَ رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَن أحدث في أمرِنا هذا ما ليسَ منه فهوَ ردّ»، وفي روايةٍ لمسلم: «كل عَملٍ ليس عليه أمرُنا فهو ردّ».

فهَذا الحديث - عبادَ الله - أصل عظيم جامع من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهِرها، فكلُّ عمل لا يكون عليه أمرُ الله ولا أمرُ رسوله ﷺ فليس منَ الدين في شيء. قال النوويّ رحمه الله: "هذا الحديث مما ينبغِي حفظه واستعمالُه في إبطال المنكرات وإشاعةُ الاستدلال به كذلك".

الدور الحقيقي لأمة الإسلام

إنّ الناظرَ في أحوالِ المسلمين ومبادِئهم ليَحكُم حكمًا لا ريبَ فيه ولا فُتون بأنّ أهل الإسلام لا بد أن يراجِعوا أوضاعَهم ليصحّحوها، وأنّ عليهم أن يكونوا أمّةً متبوعة لا تابعة، أمّةً لها ثقلُها الثقافيّ والأخلاقي، أمّة لها مصدرها وورِدها الخاصّ الذي لا يساويه ورد ولا مصدَر في الوجود، أمّةً تسبق جميعَ الثقافات والحضارات بما لديها من مقوِّمات الاعتزاز والرفعة والغلبة، لا سيّما على المستوَى العقديّ والأخلاقيّ.

ولقد جرَت عادة الأمم والمجتمعات أن تأنفَ من الخضوع لمَن تُباينها في الأخلاق والعادات والمشارب وإن لم يكلِّفها مَن يمارسُ هذا الإخضاعَ بزيادةٍ عمّا تدين به، بل إنها تستنكِره حتى تنأى عنه وتبتَعِد، وكلّما ابتعَدت عنه كلّما اقتربت آدابُ ذويها وأخلاقُهم

من بعض، فلم يعد للعوائد الأجنبيّة عنهم وردٌ ولا صَدر، ولا تلتفت إليها هِمم النّاس.

الإعلام وخطره على ذوبان هوية المسلمين

إن من المؤسف حقًا جدًا أن يتمكن هذا من إحداث تمازج تسبّب في أخذ الرّعاع واللّهازم من المسلمين بأيديهم عاصبين أعينهم إلى ما لم يكن من أصول دينهم وعوائدهم، ولا هو من مُرتكزاته، فمحَوا بذلك الفوارقَ بين المسلمين وغير المسلمين، فاختلط الحابل بالنابل، وعظُم التأثر بالثقافة الإعلامية المستورَدَة، وصار البَعضُ من المسلمين منهومين في تلقّي كلّ جديد وغريب دون فرز ولا إدراك للكُنه وما يحمل في طيّاته من مسخ وإضعاف للانتماء.

كلّ ذلك إبّانُ انحسار في التوعيةِ أورثَ إرسال الحبال على الغوارب؛ ليحلّ ببعض المجتمعات ما ذكره المصطفى ﷺ بقوله: «لتركَبنّ سنَنَ من كان قبلكم حذوَ القذّة بالقذّة، حتى لو دخلوا جحرَ ضبٍّ لدخلتُموه»، قالوا: يا رسولَ الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟!» رواه البخاريّ ومسلم، وليصدُقَ فيهم ما ذكره ابن مسعود رضي الله تعالى عنه حينَ قال: (أنتم أشبَه الأمَم ببني إسرائيل سمتًا وهديًا، تتّبعون عملَهم حذوَ القذّة بالقذّة، غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا).

ومَع ذلك كلّه ـ عباد الله ـ فإنّ لدى الناس من الفطرةِ والنشأة المتينة والتأصيل ما يمكن من خلاله يقظة الوسنانين وإذكاء مبدأ تدافع العوائدِ والعقائد، والغلبةُ بلا شكّ للحقيقةِ التي لا تنقَطع بالمرّة، وإن خفَتَ توهّجُها حينًا بعد آخر إلا أنّنا نرى وميضَ برقها يلوح في أفئدةِ الغيورين من بني الإسلام وسطَ تلك الغيايات العارضة كلّما لاح في الأفق الوجه الناصح والنذير العريان؛ حتى يتّضح لكل رامق أنّ صراع الثقافات وإن كان قويَّ الفتك لأوّل وهلة إلا أنّه سريع العطَب أمام المعتزّ بدينه وهويّته؛ إذِ الهوية المسلمة قد يعتريها المرض أحيانًا غير أنها لا تموت قطعًا، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنْ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية:١٨-٢٠].

الاحتفال بأعياد أصحاب الجحيم

واعلموا أنّ من الأمور المحزنةِ والقضايا المفزعة انسياقَ بعض المسلمين وراءَ طبائع وعاداتِ ومعتقدات غير المسلمين، من خلال الانخراط معهم في أعيادهم وعوائدهم التي حرّمها ديننا الحنيف، وحذّرنا أشدّ التحذير من الوقوع في أتونها.

وعلى رأس ما ينكره المرءُ العاقل هو التأثّر والتأثير في أعيادِ غير المسلمين واستسهال مثل ذلك الأمر بحجّة أنّ الانفتاح العالميّ لم يضع بين الناس فوارقَ وخصائص، وأنّ الاشتراك في الأعياد والمناسباتِ العقديّة لا ينبغي أن تقفَ دونَه المِلَل، وهذا أمرٌ جِدّ خطير.

وإن شِئتم فانظُروا ـ يا رَعاكم الله ـ ما وقَع من التأثيرِ فيما يُسمّى: "عيد الحبّ" أو "عيد الأمّ" أو ما شاكَل ذلك بين صفوف المسلمين دون أن يعلَموا حقائقَها وما تتضمّنُه في طيّاتها من مخاطرَ على عقيدة المسلم وخلُقه، وما يقع فيه معاقِروها من مخالفةٍ لهدي النبي ﷺ وارتكابٍ لما نهى عنه من مخالفةِ غير المسلمين.

عيد الحب وعيد الأم

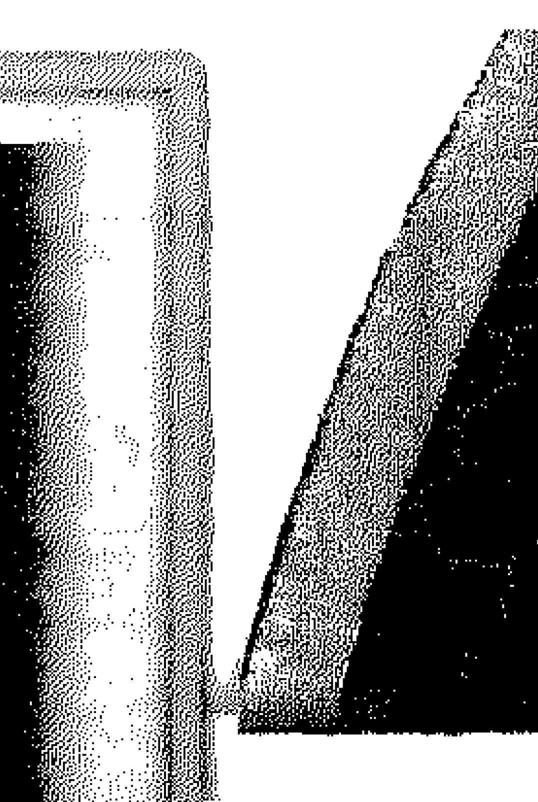
والمشاهدُ لأصداءِ ما يُسمّى: "عيد الحبّ" ليوقن حقًا درجةَ الغفلة والسّذاجة التي تنتاب شبابَ المسلمين وفتياتهم في السباق المحموم وراء العوائدِ الأجنبية عن دينهم، دون أن يكلّفوا أنفسَهم معرفةَ أصولِ تلكم العوائد.

ويَزداد الأسف حين يغيب الوعيُ عن كثير من ضحايا ذلكم التغريب بأنّ أصلَ عيدِ الحبّ عادة احتفاليّة يرجع تاريخها في بعض الروايات إلى القرن الثالث الميلاديّ؛ إحياءً لذكرى رجلٍ رومانيّ كان يبرم عقودَ الزواج سرًا لجنود الحرب الذين مُنِعوا من ذلك لئلاّ ينشغلوا بالزواج عن الحروب، حتى افتضحَ أمر ذلك الرجل، وحُكم عليه بالإعدام، فجعلوا يومَ إعدامه عيدًا وذكرى يتهادَون فيها الورودَ ورسائلَ الغرام، بل تجاوز الأمرُ أبعدَ من ذلك، حتى صارَ يومًا للإباحيّة عند بعض غيرِ المسلمين، وهو في الوقت الحاضر يُعَدّ يوم عيد للعشّاق والمحبّين، يعبّرون من خلاله باللّون الأحمر في لباسِهم وورودِهم ورسائلهم وغير ذلكم.

وديننا الحنيف دينٌ سماويّ ورسالة عالميّة، لها أثرها الإيجابيّ في المجتمعات، فلم يكن الإسلامُ يومًا ما محلاً لحصرِ المحبّة في يوم واحد، أو محلاً للبرّ بالأم في ليلةٍ واحدة، بل إنّه دينُ المحبّة والبرّ والمودّة في كلّ آنٍ وحين، فلقد صَحّ عن النبيّ ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمِنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا».

ثم إنّ للإسلام من الخصوصيّة والامتياز ما لا يجوزُ في مقابلِه الوقوع في خصائص غيره، فإنّ النبيَّ ﷺ قدِم المدينة ولهم يومانِ يلعبون فيهما، فقال: «ما هَذان اليومَان؟»، قالوا: كنّا نلعب فيهما في الجاهليّة، فقال رسول الله ﷺ: «إنّ الله قد أبدلَكما خيرًا منهما: يومَ الأضحى ويوم الفطر» رواه أحمد وأبو داود والنسائيّ، وفي الصحيحَين أن النبي ﷺ قال: «إنّ لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا»، وقد صحّ عن النبي ﷺ أنّه قال: «من تشبّه بقوم فهو منهم» رواه أحمد وأبو داود.

ومِن هنا نعلم ـ عبادَ الله ـ أنّ المشاركين في مثلِ هذه الأعياد من المسلمين قد وقَعوا فيما نُهِي عنه، ويكونونَ بذلك قد ارتكبوا مفسدتين: أولاهما: مفسدَة موافقة غير المسلمين، والثانية: مفسدّة ترك مصلحة مخالفتهم، والله جلّ وعلا يقول: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ﴾ [الرعد:٣٧].





غزوات غزاها النبي ﷺ وبعوث أرسلها

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

أخي القارئ الكريم، لقد عزمنا بدايةً من هذا العدد أن نقدم أهم الأحداث الإسلامية التي وقعت فيما مضى من تاريخ الإسلام والمسلمين في الشهر المناسب لعدد المجلة.

غزوة الأبواء: والأبواء واد من أودية الحجاز.

في صفر على رأس أحد عشر شهرًا من هجرته الشريفة غزا رسول الله ﷺ غزوة الأبواء. وكانت أول غزوة غزاها بنفسه، خرج في المهاجرين خاصة يعترض عيرًا لقريش فلم يلق كيدا. وفيها وادع بني ضمرة على أن لا يغزوهم ولا يغزوه ولا يعينوا عليه أحدا، ثم رجع وكانت غيبته خمس عشرة ليلة.

غزوة بئر معونة: (وهو ماء من مياه بني سليم).

في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرًا من الهجرة قدم عامر بن مالك بن جعفر أبو البراء ملاعب الأسنة على رسول الله ﷺ وقال: يا محمد إني أرى أمرك هذا أمرا حسنًا شريفًا؛ وقومي خلفي، فلو أنك بعثت نفرًا من أصحابك معي لرجوتُ أن يجيبوا دعوتك ويتبعوا أمرك، فإن هم اتبعوك فما أعز أمرك، فقال رسول الله ﷺ: «إني أخاف عليهم أهل نجد». فقال عامر: لا تخف عليهم، أنا لهم جار أن يعرض لهم أحد من أهل نجد، وأمّر ﷺ على أصحابه المنذر بن عمرو الساعدي.

قال أهل السير: فلما نزل الصحابة بئر معونة عسكروا بها . استصرخ عامر بن الطفيل عليهم قبائل من سليم - عصية ورعلا - فنفروا معه فلقيهم القوم والمنذر معهم فأحاطت بنو عامر بالقوم وكاثروهم فقاتل القوم حتى قتل أصحاب رسول الله ﷺ. فلما جاء رسولَ الله ﷺ خبرُ بئر معونة دعا ﷺ على قتَلَتِهم بعد الركعة من الصبح في صُبح تلك الليلة التي جاءه الخبر، فلما قال: «سمع الله لمن حمده؛ قال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر؛ اللهم عليك ببني لحيان وزعب ورعل وذكوان وعُصية، فإنهم عصوا الله ورسوله، اللهمَّ عليك ببني لحيان وعضل والقارة؛ ثم سجد» فقال ذلك خمس عشرة، ويقال أربعين يومًا. وكان أبو سعيد الخدري يقول: قتلت من الأنصار في مواطن سبعين سبعين - يوم أحُد سبعون، ويوم بئر معونة سبعون، ويوم اليمامة سبعون، ويوم جسر أبي عبيد سبعون، ولم يجد رسول الله ﷺ (أي لم يحزن) على قتلى ما وجد على قتلى بئر معونة.

غزوة الرجيع: في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرًا من الهجرة قدم سبعة نفر من عضل والقارة - (قبيلتين) - مقرين بالإسلام فقالوا لرسول الله ﷺ: إن فينا إسلامًا فاشيًا، فابعث معنا نفرًا من أصحابك يقرئوننا القرآن ويفقهوننا في الإسلام. فبعث معهم سبعة نفر فيهم عاصم بن ثابت وخبيب بن عدي، فغدروا بهم وقتلوهم.

وأرادوا أن يحتزوا رأس عاصم بن ثابت فبعث الله تعالى عليهم الدبر (النحل) فَحَمَتْه فلم يَدْنُ إليه أحد إلا لدغت وجهه وجاء منها شيء كثير لا طاقة لأحد به. فقالوا: دعوه إلى الليل فإنه إذا جاء الليل ذهب عنه الدبر. فلما جاء الليل بعث الله عليه سيلا - وأما خبيب فقتلوه وهو يدعو عليهم ويقول: اللهم أحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تغادر منهم أحدا. قال أبو هريرة: أول من سن الركعتين عند القتل خبيب.

فانظروا أيها المسلمون إلى غدر هؤلاء الكفرة الفجرة وكراهيتهم للإسلام والمسلمين، وغلهم الحقود ونقضهم العهود، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة:٢١٧].

مشروع تيسير حفظ السنة

درر البحار من صحيح الأحاديث القصار

ألف حديث كل ثلاث سنوات

الحلقة السادسة والعشرون

إعداد/ علي حشيش

٧٥١ - «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ».

[متفق عليه من حديث سعد بن ابي وقاص]

٧٥٢ - عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، قَالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُم كَثِيرًا». قال: فَغطى أصحَابُ رَسول اللَّهِ ﷺ وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِين(١)، فَقَالَ رجلٌ: مَنْ أَبي ؟ قَالَ: «فُلانٌ». فَنَزَلَتْ هذه الآيةُ: ﴿لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾. [متفق عليه من حديث انس]

٧٥٣ - «وَلَيَأتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ زَمَانٌ لأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ أَهْلِهِ وَمَالِهِ».

[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٧٥٤ - «لاَ يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونسَ بن مَتَّى» وَنَسَبَهُ إلى أبيه. [متفق عليه من حديث ابن عباس]

٧٥٥ - عن أبي هُرَيرة: قِيلَ يَا رسولَ اللَّهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاس ؟ قال: «أتقَاهُمْ». فقالوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: «فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابنُ نَبيِّ اللَّهِ ابنِ نبيِّ اللَّهِ ابْنِ خَليلِ اللَّهِ». قالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قال: فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُونَ ؟ خيارُهُم في الجاهليةِ خيارُهمْ في الإسلام إذَا فَقُهُوا». [متفق عليه من حديث ابي هريرة]

٧٥٦ - عَنْ عَائشة قالَت: صَنَعَ النبيُّ ﷺ شيئًا فَرَخَّصَ فيه، فَتَنَزَّهَ عنهُ قومٌ، فَبَلَغَ ذلكَ النبيَّ ﷺ فَخَطَبَ، فَحَمِدَ اللَّهَ ثمَّ قالَ: «مَا بَالُ أقوامٍ يَتَنَزَّهون عَن الشيءِ أصْنَعُهُ ؟ فَوَاللَّهِ إنِّي لأَعلمُهم باللَّهِ وأشدُّهم لَهُ خَشْيَةً».

[متفق عليه من حديث عائشة]

٧٥٧ - عَنْ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: أَتَتْ امرأةٌ النبيَّ ﷺ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إليه، قَالَت: أرَأيْتَ إنْ جِئْتُ ولَم أجِدْكَ؟ كأنها تقولُ: المَوْتَ، قالَ ﷺ: «إنْ لمْ تَجِديني فَأْتِي أبَا بكرٍ». [متفق عليه من حديث جبير]

٧٥٨ - «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ حَتَّى إِنِّي لأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ في أَظْفَاري ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بنَ الخطَّاب» قالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رسُولَ اللَّهِ ؟ قالَ: «العِلْمُ». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٧٥٩ - عَنْ أَنَسٍ قالَ: جَمَعَ القُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النبيِّ ﷺ أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ مِنَ الأنصار: أُبَيٌّ، ومُعَاذُ بنُ جبلٍ، وأبُو زَيْدٍ، وَزَيْدُ بنُ ثابتٍ. قُلْتُ لأنس: مَنْ أبُو زَيْدٍ؟ قالَ: أَحَدُ عُمُومتي. [متفق عليه من حديث انس]

٧٦٠ - قَالَ النبيُّ ﷺ لأُبَيٍّ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ - لَمْ يكُنِ الذينَ كَفَرُوا». قَالَ: وَسَمَّاني ؟ قَالَ: «نَعَمْ». فَبَكَى. [متفق عليه من حديث انس]

٧٦١ - «إِنَّ اللَّهَ تبارَكَ وتعالَى، إذَا أَحَبَّ عَبْدًا، نَادَى جبريلَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلانًا، فاحِبَّهُ، فَيحِبُّهُ جِبريلُ، ثُمَّ يُنادِي جِبْريلُ في السَّماءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلانًا فَأحِبُّوهُ، فَيُحبُّه أهلُ السَّماء، ويُوضَعُ لَهُ القَبُولُ في أَهْلِ الأرضِ». [متفق عليه من حديث ابي هريرة]

٧٦٢ - «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّم». قيلَ: يَا رسُولَ اللَّهِ، إنْ كَانَتْ لَكَافِيةً قالَ: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتينَ جُزْءًا، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا». [متفق عليه من حديث ابي هريرة]

٧٦٣ - «هَلَكَ كِسْرَى ثُمَّ لاَ يَكُونُ كِسْرَى بَعْدَهُ، وَقَيْصَرُ لَيَهْلِكَنَّ، ثُمَّ لاَ يَكُونُ قَيْصَرٌ بَعْدَهُ وَلَتُقْسَمَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبيلِ اللَّهِ». [متفق عليه من حديث ابي هريرة]

٧٦٤ - «لا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤلاءِ المُعَذَّبين(٢)، إلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَلا تَدْخُلُوا عليهِمْ، لا يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٧٦٥ - «عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ، سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَ سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلاَ هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٧٦٦ - عَنْ ابنِ عمرَ قال: «كَانَ النبيُّ ﷺ يَقْرَأُ عَلَيْنَا السُّورَةَ، فِيها السَّجْدَةُ، فَيَسْجُدُ وَنَسْجُدُ حَتَّى ما يَجِدُ أحدُنَا مَوْضعَ جَبْهَتِهِ». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٧٦٧ - عَنْ ابنِ عبَّاسٍ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ قال: كَانَ رَجُلٌ في غُنَيْمةٍ لَهُ، فَلَحِقَهُ المُسْلِمُونَ، فقالَ: السَّلامُ عليكمْ. فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غُنَيمتهُ، فأنزلَ اللهُ في ذلكَ، إلى قولِهِ: ﴿عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ – تِلْكَ الغُنَيْمَةُ. [متفق عليه من حديث ابن عباس]

٧٦٨ - عَنْ أبي هريرةَ قالَ: سُئِلَ النبيُّ ﷺ عَنْ ذراري(٣) المُشركينَ، فقال: «اللَّهُ أعلمُ بِمَا كَانُوا عامِلِينَ».

[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٧٦٩ - «قيلَ لِبَنِي إسرائيلَ: ﴿ادْخُلُوا البَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ فَبَدَّلُوا، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ(٤)، وقالُوا: حَبَّةٌ في شَعْرَةٍ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٧٧٠ - عَنْ أبي مُوسَى قال: سَمِعَ النبيُّ ﷺ رَجُلاً يُثْنِي عَلَى رجلٍ ويُطْرِيهِ في مَدْحِهِ فقالَ: «أَهْلَكْتُمْ (أَوْ قَطَعْتُمْ) ظَهْرَ الرَّجُلِ». [متفق عليه من حديث أبي موسى]

٧٧١ - عن أبي بَكْرَةَ، قال: أَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رجلٍ عِنْدَ النبيِّ ﷺ فقالَ: «وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» مِرارًا. ثُمَّ قالَ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلانًا واللَّهُ حَسِيبُهُ. ولاَ أزكِّي على اللهِ أحدًا. أحْسِبُهُ كَذَا وكَذَا، إنْ كَانَ يَعْلَمُ ذلِكَ مِنْهُ». [متفق عليه من حديث أبي بكرة]

٧٧٢ - عن أبي هُريرةَ قال: «مَا شَبِعَ آلُ مُحمدٍ ﷺ، مِنْ طَعَامٍ ثَلاثَةَ أيَّامٍ، حَتَّى قُبِضَ».

[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٧٧٣ - «أَلاَ أُحدِّثُكُمْ حَدِيثًا عَنِ الدَّجَّالِ، مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ ؟ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّهُ يجيءُ مَعَهُ بِمِثَالِ الجَنَّةِ والنَّارِ، فَالَّتِي يقُولُ إنَّها الجَنَّةُ هِيَ النَّارُ، وإنِّي أُنْذِرُكُمْ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٧٧٤ - «اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ». [متفق عليه من حديث حكيم بن حزام]

٧٧٥ - عَنْ عائشةَ قالَتْ: «اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ أَفْلَحُ فَلَمْ آذَنْ لَهُ. فَقَالَ: أتَحْتَجِبِينَ مِنِّي وأنَا عَمُّكِ ؟ فقُلْتُ: وكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ: أَرْضَعَتْكِ امْرَأَةُ أَخِي بِلَبَنِ أَخِي». [متفق عليه من حديث عائشة]

٧٧٦ - عَنْ عائِشَةَ أنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَتَاهَا بالحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَذَكَرَتَا ذَلِكَ لِلنبيِّ ﷺ فقالَ: «إنَّ أولئكَ إذا كان فيهمُ الرجُلُ الصالحُ فَمَاتَ، بَنَوْا على قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فيه تِلْكَ الصُّوَرَ، فأُولَئكَ شِرَارُ الخَلْقِ عند اللهِ يومَ القِيَامةِ ». [متفق عليه من حديث عائشة]

٧٧٧ - عَنْ مُعَيْقِيبٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: في الرَّجُلِ يُسَوِّي الترابَ حَيْثُ يَسْجُدُ، قالَ: «إنْ كُنْتَ فاعِلاً فَوَاحِدَةً».

[متفق عليه من حديث معيقيب]

٧٧٨ - «لَيْسَ عَلَى المُسْلِمِ في فَرَسِهِ(٥) وغُلامِهِ صَدَقَةٌ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٧٧٩ - لَيَأْتِيَنَّ علىَ النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فيه بالصَّدقَةِ مِنَ الذَّهبِ ثُمَّ لا يَجِدُ أحدًا يأخذُهَا مِنْهُ، ويُرَى الرَّجُلُ الواحِدُ يَتْبَعُهُ خَمسُونَ امرأةً يَلُذْنَ بِهِ، مِنْ قِلَّةِ الرِّجالِ وكثرةِ النِّسَاءِ. [متفق عليه من حديث أبي موسى]

٧٨٠ - «إِذَا أَوَى أحَدُكُمْ إلى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بداخِلَةِ إزارِهِ، فإنَّهُ لا يَدْرِي ما خَلَفَهُ عليهِ، ثُمَّ يقولُ: باسْمِكَ رَبي وَضَعْتُ جَنْبِي وبِكَ أرفعُهُ، إنْ أمسَكْتَ نَفْسِي فارْحمها، وإنْ أَرْسَلْتَهَا، فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ الصَّالحِينَ».

[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

---

(١) خنين: صوت مرتفع بالبكاء من الصدر.

(٢) على هؤلاء المعذبين: هم قوم صالح، وكان هذا النهي لما مروا مع النبي ﷺ بالحجر ديار ثمود في حال توجههم إلى تبوك.

(٣) ذراري: أي أولادهم الذين لم يبلغوا الحلم. (٤) أستاههم: أوراكهم.

(٥) لا زكاة في الخيل والرقيق إذا لم تكن للتجارة.

تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة أخرى مفتراة على نبي الله يوسف عليه السلام

الحلقة السادسة والستون

إعداد
الشيخ/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت في معظم التفاسير المشهورة وتناقلها القصاص والوعاظ، وهي طعن في عصمة نبي الله يوسف عليه السلام.

وهذه القصة تضاف إلى سلسلة القصص الواهية المفتراة على الأنبياء، والتي سبق تقديم البحوث العلمية الحديثية حولها، ومنها:

أولاً: متن القصة

«قصة ابتغاء يوسف عليه السلام الفَرَجَ من عند غير الله» عدد شوال ١٤٢٤هـ رقم (٣٩) رُوي عن السدي في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ قال: قالت له: يا يوسف، ما أحسن شعرك، قال: هو أول ما ينتثر من جسدي.

قالت: يا يوسف، ما أحسن وجهك. قال: هو للتراب يأكله. فلم تزل حتى أطمعته، فهمت به وهمَّ بها، فدخلا البيت، وغلقت الأبواب، وذهب ليحل سراويله، فإذا هو بصورة يعقوب قائمًا في البيت.

قد عض على أصبعه يقول: يا يوسف لا تواقعها؛ فإن مَثَلَك ما لم تواقعها مثل الطير الذي في جَوِّ السماء لا يطاق.

ومَثَلك إذا واقعتها مثل الطير الذي في جو السماء إذا مات ووقع إلى الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه.

ومَثَلك إذا واقعتها مثل الثور حين يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه.

فربط يوسف سراويله وذهب ليخرج يشتد، فأدركته فأخذت بمؤخر قميصه من خلفه فخرقته، حتى أخرجته منه وسقط وطرحه يوسف واشتد نحو الباب. اهـ.

قلت: ولقد وضع الوضَّاعون قصة أخرى باطلة ترتبط بهذه القصة وتجعل نبي الله يوسف عليه السلام يقر على نفسه بالسوء المذكور في القصة.

فقد رُوي عن ابن عباس قال: «لما جمع الملك النسوة فسألهن: هل راودتن يوسف عن نفسه ؟ قلن: حاشا لله ما علمنا عليه من سوء، قالت امرأة العزيز: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ﴾ الآية.

قال يوسف: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ قال:

فقال له جبريل: ولا يوم هممت بما هممت ؟ فقال: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾.

ثانيا: التخريج:

القصة أخرجها ابن جرير في «تفسيره» (٢٠٠/٧، ٢٠١) الخبر (١٩٠٢٣) عن السدي، والقصة الأخرى أخرجها أيضًا ابن جرير في «تفسيره» (٢٦٠/٧) الخبر (١٩٤٣٥) عن ابن عباس.

وأورد القصة الثعلبي في «قصص الأنبياء» (ص١٣١). واشتهرت القصة في كتب التفسير، حتى قال القرطبي في «تفسيره» (ص٣٤٨٨): وقيل: إن همّ يوسف كان معصية، وأنه جلس منها مجلس الرجل من امرأته، وإلى هذا القول ذهب معظم المفسرين وعامتهم، فيما ذكر القشيري أبو النصر، وابن الأنباري والنحاس والماوردي وغيرهم، قال ابن عباس: حلّ الهميان وجلس منها مجلس الخاتن واستلقت على قفاها وقعد بين رجليها ينزع ثيابه، ولما قال: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ قال له جبريل: ولا حين هممت بها يا يوسف ؟ فقال عند ذلك: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ اهـ.

ثالثا: التحقيق:

القصة واهية ومنكرة ولا أصل لها عن النبي ﷺ؛ بل هي من الأخبار المقطوعة والموقوفة المنكرة، وهي من الأخبار التي أوردها ابن جرير رحمه الله، وقد أسندها، ومن أسند فقد أحال، وبهذه الإحالة يتحتم التحقيق لمن أراد أن يتكلم عن نبي الله يوسف عليه السلام.

ومن التخريج تبين:

أ- أن جميع طرق القصة لم يوجد بها «الخبر الصحيح المسند». والمسند: هو ما اتصل مرفوعًا إلى النبي ﷺ، قال البيقوني:

والمُسْنَدُ المُتَّصِلُ الإسنادِ مِنْ
راويه حتى المصطفى ولم يَبِنْ

ب- والأخبار والموقوفة الموقوفة جاءت بها القصة واهية منكرة ومضطربة. وإلى القارئ الكريم تحقيقها:

١- قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عمرو بن محمد قال: حدثنا أسباط، عن السدي. فذكر القصة.

والسدي: هو إسماعيل بن عبد الرحمن.

قال الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٤٥٦/١٩٠/٢): إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي أبو محمد القرشي الكوفي الأعور، سكن الكوفة، وكان يقعد في سُدَّة باب الجامع بالكوفة، فسمي السُّدي، وهو السدي الكبير، روى عنه أسباط بن نصر الهمداني. اهـ.

قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٧٢/١): «إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة السدي، من الرابعة». اهـ.

قلت: وهي طبقة تلي الطبقة الوسطى من التابعين، جُلُّ روايتهم عن كبار التابعين. كذا قال الحافظ في المقدمة. وبهذا يتبين أن الخبر الذي جاءت به القصة عن السدي مقطوع وليس بمرفوع. قال البيقوني:

وما أضيف للنبي المرفوع
وما لتابع هو المقطوع

قلت: ومع أن الخبر لا أصل له مرفوعًا، فلم يصح أيضًا مقطوعًا بل هو خبر تالف، فقد أخرج الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٠١/٨٧/١) عن المعتمر بن سليمان قال: إن بالكوفة كذّابَيْن: الكلبي والسدي.

وأخرج عن عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت، قال: سمعت الشعبي، وقيل له: إسماعيل السدي قد أُعْطي حظًا من علم القرآن، فقال: إن إسماعيل قد أعطي حظًا من الجهل بالقرآن. اهـ.

وأخرج عن يحيى بن معين ذكر إبراهيم بن المهاجر والسدي، فقال: كانا ضعيفين مهينين.

ثم قال العقيلي: حدثنا داود، قال: حدثنا أحمد بن محمد، قال: قلت لأبي عبد الله: السدي كيف هو ؟ قال: أخبرك أن حديثه لمقارب

وإنه لحسن الحديث؛ إلا أن هذا التفسير الذي يجيء به أسباط عنه فجعل يستعظمه، قلت: ذاك إنما يرجع إلى قول السدي، فقال: من أين وقد جعل له أسانيد ما أدري ما ذاك. اهـ.

قلت: وأقر هذا الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٠٥/٢٣٦/١)، ثم نقل عن الجوزجاني أنه قال: حدثت عن معتمر، عن ليث قال: «كان بالكوفة كذابان، فمات أحدهما: السدي والكلبي».

ونقل عن الفلاس، عن ابن مهدي أنه ضعيف.

ثم قال الذهبي: وهو السدي الكبير، فأما السدي الصغير فهو محمد بن مَرْوان، يروي عن الأعمش، واهٍ بمرة. اهـ.

ونقل الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (١٩٢/٢) هذه الأقوال وأقرها، ونقل عن السعدي قال: السدي كذاب شتام.

ونقل الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٢٧٣/١) هذه الأقوال في السدي وأقرها.

وعلة أخرى:

أسباط بن نصر أبو يوسف الهمداني.

قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣٣٢/٢): أسباط بن نصر أبو يوسف الهمداني روى عن سماك والسدي. حدثني أبي قال: سمعت أبا نُعيم يُضَعِّفُ أسباط بن نصر وقال: أحاديثه عامية سقط مقلوبة الأسانيد.

ثم قال: أخبرنا حرب بن إسماعيل فيما كتب، إلى أن قال: قلت لأحمد: أسباط بن نصر الكوفي الذي يروي عن السدي كيف حديثه؟ قال: ما أدري - وكأنه ضعفه. اهـ.

وأورده الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (١٨٥/١)، ونقل عن الساجي قوله في «الضعفاء»: روى أحاديث لا يتابع عليها عن سماك بن حرب. وعن ابن معين قال: ليس بشيء.

ثم بيَّن الحافظ أن لأسباط حديثًا في الاستسقاء، ثم قال: وهو حديث منكر أوضحته في التعليق. اهـ.

قلت: وبهذا يتبين أن القصة واهية.

٢- أما القصة الأخرى الباطلة التي ترتبط بهذه القصة تمام الارتباط كما بينا آنفًا وتجعل نبي الله يوسف عليه السلام يقر على نفسه بالسوء فهذا هو سندها:

قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال فذكر القصة. وإلى القارئ الكريم تحقيق هذا السند:

نقل الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٢٠٤/٤)، عن يعقوب بن شيبة، قال: قلت لابن المديني: رواية سماك عن عكرمة ؟ فقال: مضطربة.

وقال زكرياء بن عدي، عن ابن المبارك: سماك ضعيف في الحديث. قال يعقوب: وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة يخطئ كثيرًا قد تغير قبل موته.

قلت: وهذه المسألة من دقيق فقه الأسانيد.

فرواية سماك بن حرب الذهلي، عن عكرمة أبي عبد الله - مولى ابن عباس، عن ابن عباس، في الكتب الستة، عددها (٢٩) حديثًا، كما هو مبين في «تحفة الأشراف» (١٣٦/٥-١٤٣) من (ح٦١٠٣) حتى (ح٦١٣١)، لا يوجد منها حديث واحد في البخاري أو مسلم، وحتى لا يقول قائل: الحديث على شرط الشيخين أو أحدهما، قال محدث وادي النيل في «الباعث الحثيث» (ص٢١): قال الحافظ ابن حجر: ووراء ذلك كله: أن يروى إسناد ملفق من رجالهما، كسماك عن عكرمة، عن ابن عباس، فسماك على شرط مسلم، وعكرمة انفرد به البخاري، والحق أن هذا ليس على شرط واحد منهما. اهـ.

قلت: وهذا الإسناد الملفق لا يصح الخبر به والقصة واهية.

طريق آخر للقصة عن عكرمة:

قال ابن جرير في «تفسيره» (٢٦٣/٧) (ح١٩٤٥٠): حدثنا القاسم، قال حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة:

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾، قال الملَكُ، وطعن في جنبه: يا يوسف، ولا حين هممت ؟ قال: فقال: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾.

قلت: وهذا خبر مقطوع لا يصح، منكر؛ علته تدليس ابن جريج.

وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي، أورده ابن حجر في «طبقات المدلسين» الطبقة الثالثة رقم (١٧)، وقال: وصفه النسائي وغيره بالتدليس، قال الدارقطني: شر التدليس تدليس ابن جريج، فإنه قبيح التدليس لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح. اهـ.

قلت: وابن جريج لم يصرح بالسماع عن عكرمة، وعنعن، فلا يقبل حديثه وتصبح القصة بهذا التدليس القبيح واهية.

طريق آخر يدل على اضطراب الخبر:

ففي الطريقين السابقين جعلوا القائل ليوسف: «ولا يوم هممت» جبريل.

وهذا الطريق يجعل القائل ليوسف عليه السلام امرأة العزيز، فأقر يوسف.

قال ابن جرير في «تفسيره» (٢٦٣/٧) (ح١٩٤٥١):

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السدي: في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾، قال: قاله يوسف حين جيء به ليعلم العزيز أنه لم يخنه بالغيب في أهله وأن الله لا يهدي كيد الخائنين، فقالت امرأة العزيز: يا يوسف، ولا يوم حللت سراويلك ؟ فقال يوسف: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾.

قلت: وهذا سند تالف من طريق أسباط عن السدي وقد فصلناه آنفًا، وهو خبر مقطوع والقصة واهية منكرة.

طريق آخر يدل - أيضًا - على اضطراب الخبر:

وهذا الطريق يجعل قائل ذلك يوسف لنفسه من غير تذكير مذكِّر، ولكن تذكر ما كان سلف منه في ذلك.

قال ابن جرير في «تفسيره» (٢٦٣/٧) (ح١٩٤٥١):

حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ هو قول يوسف لمليكه حين أراه الله عذره، فذكر أنه هم بها وهمت به، فقال يوسف: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾.

التحقيق لهذا الطريق:

أولاً: محمد بن سعد: هو محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد بن جنادة أبو جعفر العوفي من بني عوف بن سعد - فخذ - من بني عمرو بن عياذ بن يشكر بن بكر بن قاسط بن وهنب بن أقصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. قاله الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٢٢/٥).

قلت: ذكرت اسمه ونسبه حتى أستطيع أن أقف على اسم أبيه وجده وجد أبيه.

١- محمد بن سعد قال الخطيب فيه: كان لينًا في الحديث.

٢- أبوه: سعد بن محمد بن الحسن العوفي أورده الحافظ في «اللسان» (٢٤/٣) ترجمة رقم (٣٦٥٠) وقال: روى عن أبيه وعمه الحسين بن الحسن، وروى عنه ابنه محمد وغيره، قال أحمد فيه: جهمي، قال: ولم يكن هذا أيضًا ممن يستاهل أن يكتب عنه، ولا كان موضعًا لذاك. حكاه الخطيب. اهـ.

٣- عم أبيه: هو الحسين بن الحسن بن عطية أبو عبد الله العوفي، أورده ابن حبان في «المجروحين» (٢٤٦/١) وقال: منكر الحديث، يروي عن الأعمش وغيره أشياء لا يتابع عليها كأنه كان يقلبها، وربما رفع المراسيل وأسند الموقوفات، ولا يجوز الاحتجاج به.

٤- جد أبيه: الحسن بن عطية أورده

الذهبي في «الميـزان» (١/٥٠٣) تراجم (١٨٨٩) وقال فيه: «الحسن بن عطية العوفي، عن أبيه، وعنه ابناه حسين ومحمد، قال البخاري: ليس بذاك. وقال أبو حاتم: ضعيف». اهـ.

٥- جد جده: عطيـة بن سـعـد بن جنادة العـوفي، أورده ابن حـبـان في «المجـروحين» (١٧٦/٢) وقال: يروي عن أبي سعيد الخدري، فلما مـات أبو سـعـيـد جـعل يجالس الكلبي ويحضر قصصه، فإذا قال الكلبي: قال رسول الله ﷺ بكذا، فيحفظه وكنَّاه أبا سعيد ويروي عنه فإذا قيل له: من حدثك بهذا ؟ فيقول: حدثني أبو سعيد؛ فيتوهمون أنه أبو سعيد الخـدري، وإنما أراد به الكلبي، فـلا يحل الاحتجاج به ولا كتابة حديثه؛ إلا على جهة التعجب. اهـ.

قلت: فهذا الطريق مسلسل بالعوفيين وهم ضعفاء كما بينا، وهو إسناد ساقط لا يساوي عند أهل الحديث شيـئًـا، وهذه السلسلة - سلسلة العوفيين - فهي سلسلة العجب، وبهذا تصبح القصة بهذا الطريق واهية وتصبح جميع طرق القصة لا أصل لها عن النبي ﷺ، والطرق موقوفة أو مقطوعة سلاسلها: إما سلسلة مضطربة، أو سلسلة عجب، أو سلسلة لا يخلو رواتهـا من كـذابين أو مـتـروكين أو مـدلسين، فـهي طرق تزيد القـصـة وهنًا على وهن.

رابعًا: قرائن تدل على أن القصة واهية:

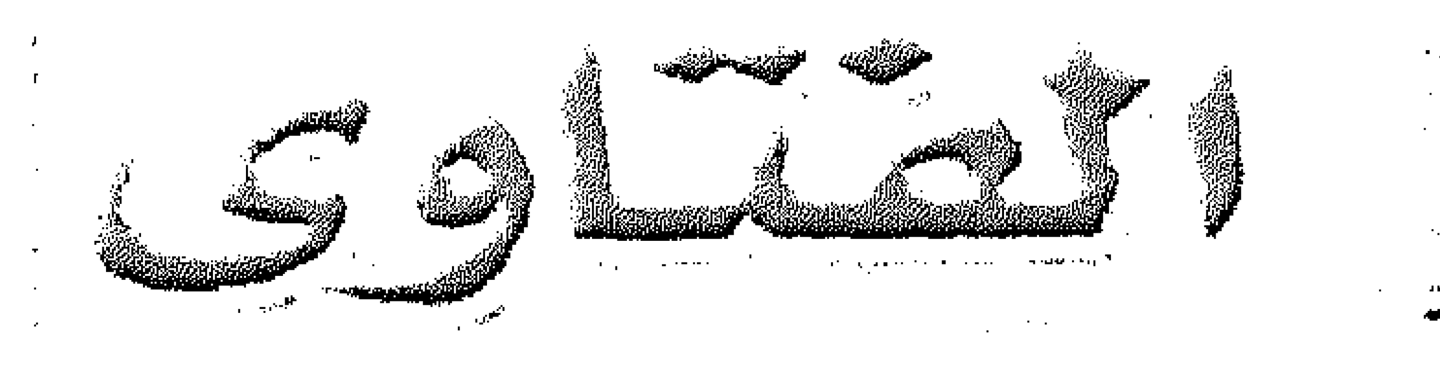
-قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٥/١٤٨- ١٥٠): يوسف عليه الصلاة والسلام لم يذكر الله تعالى عنه في القرآن أنه فعل مع المرأة ما يتوب منه، أو يستغفر منه أصلاً، وقد اتفق الناس على أنه لم تقع منه الفاحشة، ولكن بعض الناس يذكر أنه وقع منه بعض مقدماتها، مثل ما يذكرون أنه حل السراويل وقعد منها مقعد الخاتن ونحو هذا، وما ينقلونه في ذلك ليس هو عن النبي ﷺ ولا مستند لهم فيه إلا النقل عن بعض أهل الكتاب، وقد عرف كلام اليهود في الأنبياء وغضهم منهم، كما قالوا في سليمان ما قالوا، وفي داود ما قالوا، فلو لم يكن معنا ما يرد نقلهم لم نصدقهم فيما لم نعلم صدقهم فيه، فكيف نصدقهم فيما قد دل القرآن على خلافه، والقرآن قد أخبر عن يوسف من الاستعصام والتقوى والصبر في هذه القضية ما لم يذكر عن أحد نظيره، فلو كان يوسف عليه السلام قد أذنب لكان إما مصرًا وإما تائبًا، والإصرار ممتنع، فتعين أن يكون تائبًا، والله لم يذكر عنه توبة في هذا ولا استغفارًا كما ذكر عن غيره من الأنبياء، فدل ذلك على أن ما فعله يوسف كان من الحسنات المبرورة والمساعي المشكورة، كما أخبر الله عنه بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

وإذا كان الأمر في يوسف كذلك: كان ما ذكر من قوله: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ إنما يناسب حال امرأة العزيز، لا يناسب حال يوسف، فإضافة الذنوب إلى يوسف في هذه القضية فرية على الكتاب والرسول، وفيه تحريف للكلم عن مواضعه، وفيه الاغتياب لنبي كريم، وقول الباطل فيه بلا دليل، ونسبته إلى ما نزهه الله منه، وغير مستبعد أن يكون أصل هذا من اليهود أهل البهت الذين كانوا يرمون موسى بما برأه الله منه، فكيف بغيره من الأنبياء ؟ وقد تلقى نقلهم من أحسن به الظن وجعل تفسير القرآن تابعًا لهذا الاعتقاد. اهـ.

٢- قال الإمام ابن القيم في «تفسيره» (ص٣١٦): قول الله تعالى ذكره: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ [يوسف: ٥٣]، فإن قيل: فكيف قال وقت ظهور براءته: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾؟

قيل: هذا قد قاله جماعة من المفسرين، وخالفهم في ذلك آخرون أجل منهم، وقالوا: إن هذا من قول امرأة العزيز، لا من قول يوسف عليه السلام.

والله من وراء القصد.



تجيب عليها اللجنة الدائمة للإفتاء بالسعودية

هدي النبي ﷺ في قراءة الصلاة

س: هل ورد عن الرسول ﷺ أنه كان يطيل صلاة الظهر؟ وإن كان الرسول قد أطالها فهل علينا أن نقوم بتطويلها؟

الجواب: وردت السنة عن النبي ﷺ أنه كان يطيل القراءة في الركعة الأولى من الظهر ويقصر في الركعة الثانية، ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه أن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر في الأوليين بأم الكتاب وسورتين، وفي الركعتين الأخريين بأم الكتاب، ويسمعنا الآية أحيانًا، ويطول في الركعة الأولى ما لا يطول في الركعة الثانية، وهكذا في العصر، وهكذا في الصبح.

[أحمد ٥/٢٩٥، والبخاري ١/١٨٧]

فمن السنة إطالة القراءة في الركعة الأولى والتخفيف في الركعة الثانية، اقتداءً بفعل النبي ﷺ، كما أن السنة أن تكون الظهر أطول من العصر، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقرأ في الركعتين الأوليين من الظهر قدر (آلم) السجدة، وفي الأخريين قدر النصف من ذلك وفي الأوليين من العصر على قدر الأخريين من الظهر، وفي الأخريين على النصف من ذلك.

[رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه]

وعن سليمان بن يسار رضي الله عنه قال: كان فلان يطيل الأوليين من الظهر ويخفف العصر، ويقرأ في المغرب بقصار المفصل، وفي العشاء بوسطه، وفي الصبح بطواله، فقال أبو هريرة: ما صليت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا. [النسائي ٢/١٦٧]

بيع الكتب الموقوفة واستبدالها

س: هل يجوز استبدال كتب مكتوب على غلافها: (وقف لله تعالى) بأخرى من نفس العنوان أو من عنوان مختلف من أجل بيعها؟

الجواب: كتب الوقف ينتفع بها من هي بيده، فإذا استغنى عنها دفعها لمن يحتاج إليها، ولا يجوز بيعها بدراهم أو بكتب أخرى، وأما استبدال الكتب الموقوفة بكتب أخرى موقوفة من أجل الانتفاع بها فلا حرج فيه؛ لأنه ليس بيعًا.

التهادي بين الناس

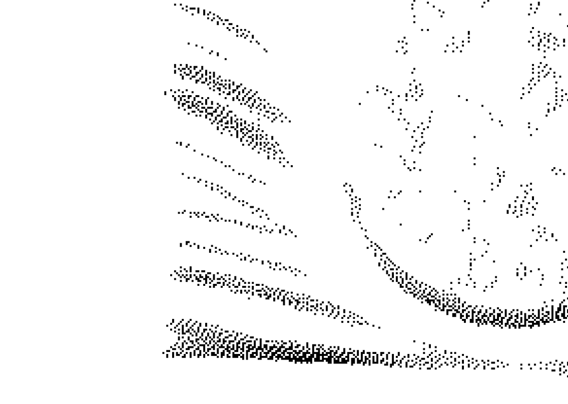
س: إن من عادة أهالي قريتي أنه إذا حصلت مناسبة، يذهبون إلى المرأة التي حصلت عندها المناسبة بهدايا ونقود. والواجب عليها ردها لهم في مناسباتهم، فما الحكم إذا وقعت مناسبة وليس بيدها شيء، وهل هذا حرام؟

الجواب: يستحب لمن أهدي له شيء أن يرد مثله أو أفضل منه، لكن الواجب على أهل القرية ألا يلزموا الفقير بأن يرد عليهم مثل هداياهم، بل المشروع أن يهدي المسلم الهدية وهو لا ينتظر لها مقابلاً، بل ينتظر الثواب من عند الله سبحانه وتعالى، ومن أهدي له شيء فلا يجب عليه أن يرد على المهدي شيئًا، لكن إن رد له شيئًا فهو أفضل.

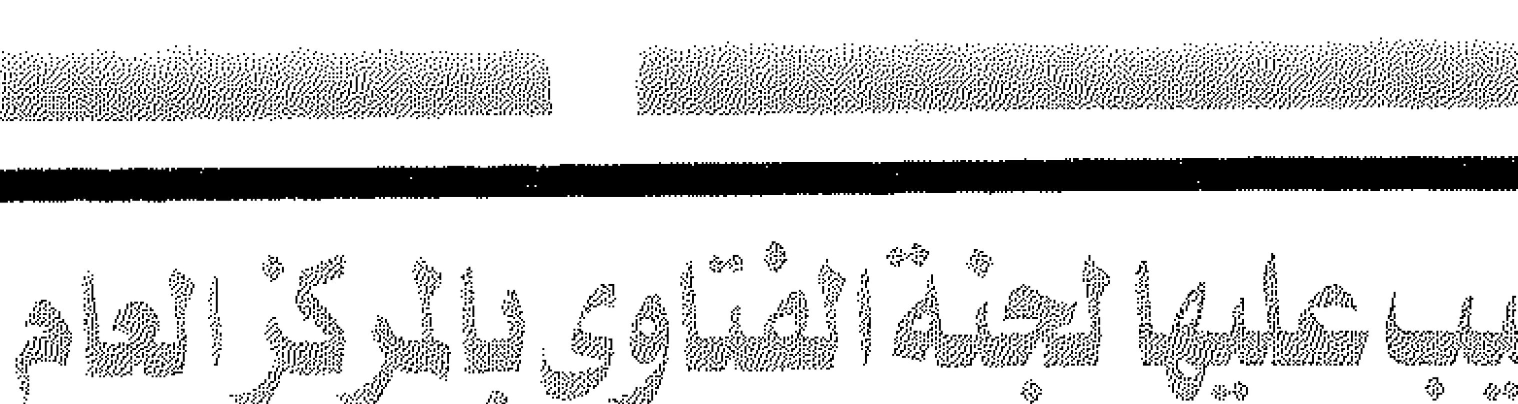
التصرف في مال الورثة

س: رجل توفي بسبب حادث سيارة ولم يوص بصدقة له من ماله ولا بدَيْن، علمًا أنه خلف مالاً لا بأس به، وله زوجة وأطفال قصَّر، فهل له ثلث أو ربع مما ترك يتصدق به عنه بدون استشارة ورثته، وإن لم يوص بشيء؟ أفتونا رحمكم الله.

الجواب: إذا كان كما ذكر، فلا يجوز أخذ شيء من المال يتصدق به عن الميت إلا بإذنهم إذا كانوا أهلاً للتصرف الشرعي، مع العلم أن ولي القصار لا يملك الإذن في ذلك.



الفتاوى



تجيب عليها لجنة الفتاوى بالمركز العام

قراءة القرآن وإهداء ثوابها

س: ما حكم إهداء ثواب قراءة القرآن للأموات؟

الجواب: لم يثبت عن النبي ﷺ في حديث صحيح إلى أن ذلك مما ينفع الميت، ولم ينقل ذلك عن السلف الصالح، وقد كانوا أحرص على الخير ممن بعدهم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾، قال ابن كثير رحمه الله: «أي كما لا يحمل عليه وزر غيره كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه. ومن هذه الآية استنبط الشافعي رحمه الله ومن اتبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم، ولهذا لم يندب إليه الرسول ﷺ أمته، ولا حثهم عليه، ولا أرشدهم إليه، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، وباب القربات يُقتصر فيه على النصوص، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فأما الدعاء والصدقة فذلك مجمع على وصولهما ومنصوص من الشارع عليهما».

ثم إن الذي يهدي ثواب ما قرأ للأموات قد جزم بأنه هو أثيب على قراءته، فهو يهدي الثواب للأموات، وهذا جزم بما لا يجوز الجزم به، فقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾، قال ﷺ: «هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه». [ص. ت: ٣١٧٥].

تزاور صالحي الأموات

س: يذكر في بعض الكتب أن أرواح المؤمنين تتلاقى عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس ويعلمون بزيارة أقاربهم ويسمعون تسليمهم، ومع ذلك لم يذكر الدليل على ذلك. نرجو الإفادة؟

الجواب: كما ذكرت أيها السائل الذين يذكرون ذلك لا يأتون بدليل، وإذا ذكروا دليلاً فهو ضعيف، فلم يثبت في ذلك شيء تقوم به الحجة.

وننصحك بأن تعتمد في قراءتك على كتب السلف الصالح المحققة، حتى لا تقع في خطأ وينفعك في هذا كتاب (الآيات البينات في عدم سماع الأموات) للألوسي، تحقيق الألباني.

آداب دخول المقابر

س: هل من الواجب خلع النعل عند دخول المقابر؟

الجواب: ترجم البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز (باب/ الميت يسمع خفق النعال)، ثم أسند الحديث عن النبي ﷺ، وفيه: «العبد إذا وضع في قبره وتُوُلِّيَ وذهب أصحابه، حتى إنه ليسمع قرع نعالهم».

قال الحافظ في «الفتح» (٢٠٦/٣): «استدل به على جواز المشي بين القبور بالنعال، ولا دلالة فيه، ويدل على الكراهة حديث بشير بن الخصاصية أن النبي ﷺ رأى رجلاً يمشي بين القبور وعليه نعلان سبتيتان فقال: يا صاحب السبتيتين ألق نعليك». أخرجه أبو داود والنسائي والحاكم وصححه. اهـ.

قال شيخنا الألباني في أحكام الجنائز (ص٢٠٠): والأقرب أن النهي من باب احترام الموتى، فهو كالنهي عن الجلوس على القبر.

لا قدرة للميت

س: هل يستطيع الميت التحكم أو الوقوف عندما يكون محمولاً على الأعناق عند الذهاب إلى المقبرة؟

الجواب: لو أن الأحياء تأخروا في دفن الميت يومًا أو يومين هل يستطيع أن يمشي إلى المقبرة وحده؟! فما يحدث عند تشييع جنازة بعض الناس من الجري السريع، أو الوقوف عن الحركة إنما هو من شياطين الإنس والجن، وليس له علاقة بصلاح الميت وولايته، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدّموني، وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها: يا ويلها، أين يذهبون بها؟» [البخاري: ١٣١٦]. فالصالحة تقول لأهلها قدّموني، لأنها لا تستطيع أن تتقدم بنفسها، وغير الصالحة

تقول لأهلها: أين يذهبون بها؟ ولا تستطيع أن تتأخر فضلاً عن أن تمتنع من الدفن.

من آداب الزفاف

س: ما هي آداب الزفاف في الإسلام؟

الجواب: هذه بعض آداب الزفاف باختصار:

١- أن يستخير الله سبحانه عند الشروع في ذلك.

٢- أن يقصد المتزوج المرأة البكر الودود الولود صاحبة الدين والخلق.

٣- أن ينظر من سيتزوجها إلى وجهها وكفيها وإن بدا منها شيء من غير قصدها وقصده فرآه فلا بأس، وله أن يسأل محارمه وقريباته لتخبره بما خفي عليه فيها وحرم عليه رؤيته منها حال الخطبة.

٤- كذلك تقصد المرأة الرجل صاحب الدين والخلق.

٥- ينتظر الخاطب ويكف حتى يعقد عليها فتحل له حتى يبني بها في مسكنه الذي اختاره لنفسه.

٦- لا يجوز الاختلاط بالمخطوبة قبل العقد عليها ولا الخلوة بها ولا الخروج معها والسفر بها والتعرف كما يسمونه.

٧- المغالاة في المهر لا فضيلة فيها ولا مكرمة، لكنها إعاقة عن إتمام هذه العقود الشرعية.

٨- ألا يصحب الزفاف منكرات كالاختلاط والغناء المحرم والموسيقى وتصوير النساء غير المحارم والمختلطات بالرجال، وعدم تعليق الصور له ولزوجته ولا تنمص العروس حاجبيها ولا يحلق زوجها لحيته.

٩- عمل وليمة عند الزواج.

١٠- أن يدعو عند بنائه بامرأته وهو آخذ بناحيتها ويدعو بالبركة ويقول: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه.

١١- أن يدعو بالدعاء المأثور عند إتيان أهله لتوقي ضرر الشيطان بإذن الله.

١٢- أن يدعو الله بالذرية الصالحة.

الدروس الخصوصية للطلاب

س: أعمل مدرسًا وأحيانًا يأتي الطلاب ليأخذوا دروسًا خصوصية، فهل هذا حرام؟

الجواب: إذا اتقى المدرس ربّه، وأتقن عمله، وقام بما يجب عليه في الحصة المدرسية على أكمل وجه، ثم لم يُشر للطلاب إلى الدروس الخصوصية لا من قريب ولا من بعيد، ثم قصده الطلاب من تلقاء أنفسهم للاستزادة من علمه في الدروس الخصوصية فلا بأس حينئذ بما يتقاضاه منهم مقابل هذه الدروس.

وننصحك بعدم تدريس البنات لما في ذلك من الفتن، والله تعالى يقول: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾، ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾.

إخفاء العيوب في العمل عن صاحب العمل

س: نساجون في شركة تحدث منهم أخطاء في النسيج فشكلت الشركة لجنة لفحص النسيج، وقررت خصم نسبة مالية من العامل الذي يخطئ، تصرف هذه النسبة للجنة الفحص، فما حكم هذا المال؟

وهل يجوز إخفاء العيب عن اللجنة رأفة بالنساج حتى لا يخصم منه؟

الجواب: تشكيل هذه اللجنة هو من تمام إتقان العمل وجودة المنتج، وقد حث الإسلام على إتقان العمل، ولا بأس بصرف ما يخصم للجنة المذكورة.

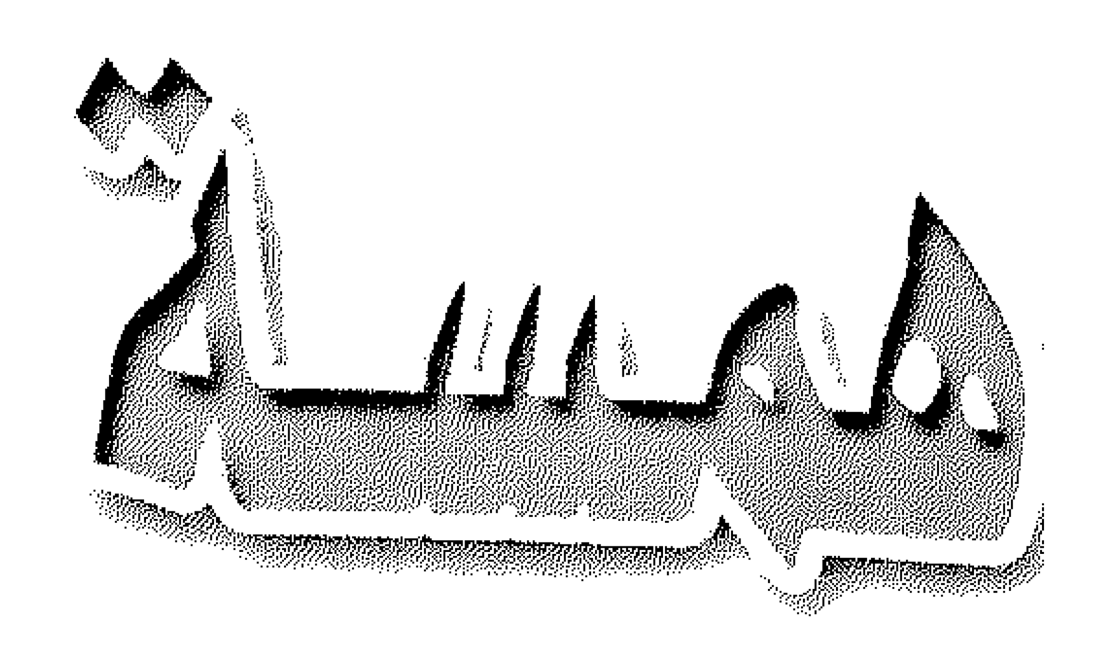
ولا يجوز إخفاء عيب النسيج عن اللجنة لأن هذا من التدليس والغش وهو حرام.

أرباح بنك فيصل

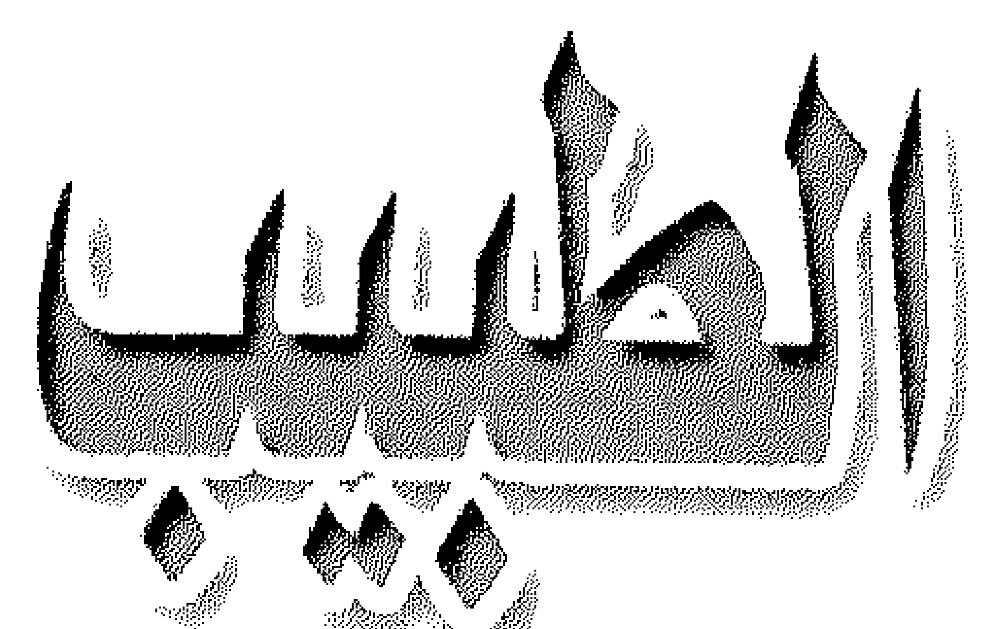
يسأل: محمود محمد مرسي العسال- بنها- يقول:

إلى لجنة الفتوى بالمركز العام أسأل عن أرباح بنك فيصل الإسلامي ما رأي الدين فيها؟

الجواب: لا مانع من وضع الأموال في بنك فيصل الإسلامي وأخذ الأرباح عنها؛ لأن اللوائح والأسس التي تأسس عليها عمل البنك مستندة إلى الشرع، وتقوم لجنة من فضلاء العلماء بالإشراف عليه، ويقوم البنك بإحصاء الأرباح من مشاريعه الاستثمارية التي تزيد عن ٤٠ مشروعًا أكثرها داخل مصر وبعضها خارجها، ثم يقسم الأرباح على حسب الأموال المودعة لديه وعليه فلا نرى مانعًا شرعيًا من وضع الأموال لديه. والله أعلم







إعداد

فهد اليحيي

أخي الطبيب: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تحية طيبة.. وبعد:

أهنيك على هذا العمل الإنساني النبيل الذي تحاول فيه جاهدًا أن تنقل المريض من الحزن إلى الفرح ومن التعاسة واليأس والقنوط إلى البشر والسعادة، ومن وجه قد علته الكآبة والبؤس إلى وجه تعلوه الابتسامة والأمل.

كل ذلك أخي الطبيب لن يتحقق على يديك ما لم يكن توفيق الله حليفك، غير أن أمرًا آخر تنال به ثوابًا من الله تعالى وأنت في عملك لا يحتاج منك جهدًا بدنيًا ولا بذلاً ماديًا، إنه احتسابك ما تعمله لله عز وجل تبتغي بذلك وجه الله تعالى وإن أخذت عليه الأجر الدنيوي.

كم هو مقدار السعادة عندما ترى مريضك وقد تماثل للشفاء ويقدم لك الشكر بعد شكر الله تعالى فأنت سبب قوي جعله الله تعالى لهذا المريض.

وحيث تعلم أن الشفاء بيد الله تعالى ولا شفاء إلا شفاؤه فلا تنس إذًا قراءة بعض الآيات والأدعية الثابتة عن الرسول ﷺ من الرقية الشرعية.

قال سبحانه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

فمن ذلك: قراءة الفاتحة، آية الكرسي، المعوذتين، قل هو الله أحد، وقراءة هذا الدعاء على المريض: «أذهب البأس رب الناس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقمًا».

كم هو عظيم أن نعلق المريض بخالقه ومولاه، نعلقه بالله عز وجل الذي بيده مقاليد كل شيء وإليه تصير الأمور وبين إصبعيه قلوب البشر يقلبها كيف يشاء، وهو الذي إذا شاء شفاه كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾.

من أجل أن يخرج المريض من عيادتك أيها الطبيب أعظم توكلاً على الله وحده وأعظم تعلقًا به سبحانه دون سواه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

وفي الحديث مرفوعًا: «من تعلق شيئًا وكل إليه». رواه أحمد والترمذي عن عبد الله بن عكيم.

إنه لمن أعظم العلاج كما لا يخفى بل هو علاج نفسي قوي حيث يطرح المريض همومه وشكواه ويتوكل على مولاه، لا سيما إذا انضاف إليه صدق الإيمان بقضاء الله وقدره والرضا بذلك والتسليم مع الأخذ بالأسباب الشرعية.

أخي الطبيب: لا ريب أنك تؤمن معي أن الإيمان بالله والالتزام بشرعه هو مصدر اطمئنان النفس وبرد الفؤاد: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، وإذا كان كذلك فلا بد للطبيب المسلم النفسي بل وغير النفسي أن يراعي ذلك وأن يجعله من جملة علاجه؛ ومن هنا كنا نتسائل عن العلاج مثلاً بالحبوب المنومة طويلاً حتى يفوت وقت كثير من الصلوات أوليس مناقضًا لهذا المبدأ؟!

فلو روعي هذا الملحظ وحُدَّ من هذا النوع من العلاج لينحصر في الضرورة أو لطائفة خاصة من المرضى لا يصلح لهم إلا ذلك.

الطبيب المسلم يختلف عن غير المسلم لأنه مع تضلعه في تخصصه في الطب سواء كان نفسيًا أو غيره لا يتخلى عن عقيدته ومبادئ دينه بل ويربط بعضها ببعض ويستفيد من عمله بدينه في عمله في طبه.

ومن مبادئ هذا الدين الإيمان بالجن والشياطين بأنهم خلق من خلق الله تعالى مكلفون، فمنهم مؤمن ومنهم كافر ومنهم صالح ومنهم فاسق كما حكى الله تعالى قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾.

وأنهم قد يؤذون الإنسان بمسه فيؤثرون عليه بدنيًا أو نفسيًا بقدر الله تعالى، وقد أشار القرآن إلى هذا حين وصف المرابين، قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾.

ولسنا نقول: إن كل حالة من هذا النوع فهي مسّ، ولكن أيضًا ليست جميع الحالات التي تعتري الإنسان مجرد أمراض نفسية أو إيحاء أو انفصام في الشخصية، أو خلافها.

لا نريد أن ندخل في تخصصكم معشر الأطباء ولا أن نتكلم بغير علم؛ غير أنا نقول: إن هناك نوعًا من التشابه ونوعًا من التداخل بين المرض النفسي الخالص وبين المسّ الشيطاني ولا يبعد أيضًا أن يكون بعض المرضى يعاني من مس شيطاني في بعض الأحوال ويزول أحيانًا ولكن إذا زال المسّ بقي الشخص مريضًا نفسيًا ولربما ولد ذلك لديه انفصامًا في الشخصية أو غيرها من الأمراض النفسية.

وخلاصة القول في هذه الإلماحة: نريد من النفساني المسلم تميزه عن غير المسلم في إيمانه بالجن ومسِّ شياطينهم، ففي حين يجعل غير المسلم جميع ما يعتري الإنسان من حالات نفسية إنما هو من قبيل الأمراض النفسية فأين النفساني المسلم الذي يقول عن هذه الحالة إنما هي مرض نفسي وعن تلك الحالة أنها مسّ شيطاني ويفرق بين مرضاه ويميز بين مراجعيه؟

نرجو أن يكون الكل كذلك، وأن يملك البعض الجرأة إذا لم يستطيع التمييز أن يستعين بمن يملك الخبرة والتجربة في ذلك ممن يقتنع هو به وبطريقة تشخيصه.

فكما أن من القراء الذين يتزعمون الرقى ويزعمون أنهم متخصصون فيها، ويتخذون عيادات لهم للرقى من يجعل جميع الحالات مسًا فكذلك من النفسانيين من يجعل جميع الحالات نفسية والحق والعدل والإنصاف التصديق بكلٍ، وأن الحالات تختلف، وعلاج كل حال بما يناسبها، والله أعلم.

ونسأل الله للجميع التوفيق.

قرار إشهار

رقم ١٠٢٨ بتاريخ ٢٣ / ١ / ٢٠٠٦م

تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بالقليوبية عن قيد إشهار جمعية أنصار السنة المحمدية بإمياي. طوخ. محافظة القليوبية وذلك طبقا لأحكام القانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ ولائحته التنفيذية.

قرار إشهار

رقم ١٦١٣ بتاريخ ١٤ / ١ / ٢٠٠٦م

تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بالشرقية عن قيد إشهار جمعية أنصار السنة المحمدية بكفر المحمودية. ههيا. محافظة الشرقية وذلك طبقا لأحكام القانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ ولائحته التنفيذية.

قرار إشهار

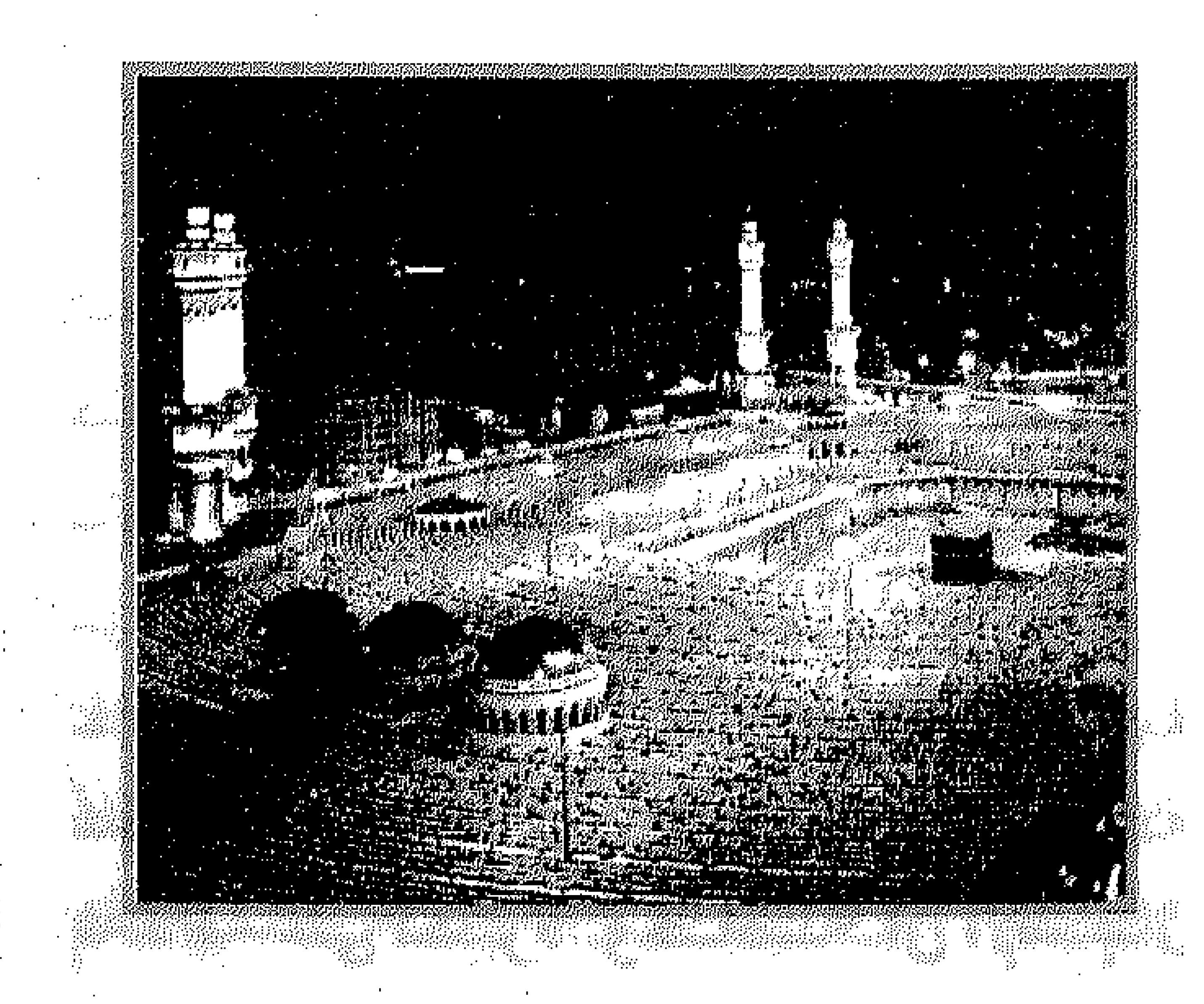
رقم ١٦١٨ بتاريخ ١٨ / ١ / ٢٠٠٦م

تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بالشرقية عن قيد إشهار جمعية أنصار السنة المحمدية بالعدوة. ههيا. محافظة الشرقية وذلك طبقا لأحكام القانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ ولائحته التنفيذية.



إعداد
محمد فتحي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:



أولاً: الإسبال

الإسبال هو أن ينزل ثوب الرجل عن كعبيه (الكعب: العظم الناتئ عند ملتقى الساق والقدم). والثوب يشمل الإزار والسراويل والقميص ونحوها.

وقد وردت الآثار عن النبي ﷺ والصحابة الأطهار والأئمة الأخيار تحذر من الإسبال والتهاون في ذلك، وهي كثيرة جداً بلغت حد التواتر المعنوي، وقد رواها ما يقارب الثلاثين من الصحابة، منها ما هو في الصحاح، ومنها ما هو في السنن والمسانيد، ومنها ما هو في دواوين السنة الأخرى.

والإسبال له حالتان:

الأولى: أن يكون إسبال الثوب خيلاء، فهذا مجمع على تحريمه وكونه كبيرة من كبائر الذنوب، لم يخالف في ذلك أحد من أهل العلم المعتبرين.

والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ وقوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾. فذم الله سبحانه وتعالى الخيلاء، والمرح والبطر.

وقد وردت الأحاديث الصحيحة الصريحة أيضاً في تحريم ذلك والتحذير منه.

فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرًا».

وعن محمد بن زياد قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال النبي أو قال أبو القاسم ﷺ: «بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة».

وعن سالم بن عبد الله رضي الله عنه أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ قال: «بينا رجل

يجر إزاره إذ خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة».

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار، قال أبو ذر: خابوا وخسروا؛ من هم يا رسول الله؟ قال: المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب».

هذه جملة من الأحاديث وغيرها كثير كلها من أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى البخاري ومسلم وكلها صريحة في تحريم إسبال الثوب وإطالته إلى ما تحت الكعبين على سبيل الخيلاء، وأن فاعل ذلك متوعد من الله تعالى بأنه لا يكلمه ولا ينظر إليه يوم القيامة ولا يزكيه وله عذاب أليم.

الحالة الثانية: أن يكون إسبال الثوب من غير خيلاء، فهذا حرام أيضاً وفاعله متوعد بالعقاب يوم القيامة بأن تنال النار ما غطاه الثوب من قدميه تحت الكعبين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار».

قال الخطابي: يريد أن الموضع الذي يناله الإزار من أسفل الكعبين في النار فكنى بالثوب عن بدن لابسه ومعناه أن الذي دون الكعبين من القدم يعذب عقوبة.

وخرج عبد الرزاق عن عبد العزيز بن أبي رواد أن نافعًا سئل عن ذلك؟ فقال: وما ذنب الثياب؟!! بل هو من القدمين.

نخلص من ذلك أن جر الثوب تحت الكعبين ممنوع مطلقاً سواءً كان فعله خيلاء أم عن غير قصد الخيلاء.

ومن المعلوم عند أهل العلم أنه يحمل المطلق على المقيد، فالتسوية بين الحالتين غير مسلمة لتنوع الوعيد.

قال ابن حجر في شرح حديث أم سلمة: ويستفاد من هذا الفهم التعقب على من قال إن الأحاديث المطلقة في الزجر عن الإسبال مقيدة بالأحاديث الأخرى المصرحة بمن فعله خيلاء قال النووي: ظواهر الأحاديث في تقييدها بالجر خيلاء يقتضي أن التحريم مختص بالخيلاء ووجه التعقب أنه لو كان كذلك لما كان في استفسار أم سلمة عن حكم النساء في جر ذيولهن معنى بل فهمت الزجر عن الإسبال مطلقا سواء كان عن مخيلة أم لا فسألت عن حكم النساء في ذلك لاحتياجهن إلا الإسبال من أجل ستر العورة لأن جميع قدمها عورة فبين لها أن حكمهن في ذلك خارج عن حكم الرجال في هذا المعنى فقط، وقد نقل عياض الإجماع على أن المنع في حق الرجال دون النساء ومراده منع الإسبال لتقريره ﷺ أم سلمة على فهمها إلا أنه بين لها أنه عام مخصوص لتفرقته في الجواب بين الرجال والنساء في الإسبال وتبيينه القدر الذي يمنع ما بعده في حقهن كما بين ذلك في حق الرجال.

وقال في حديث صلاة الكسوف: قوله: فقام يجر ثوبه مستعجلاً فإن فيه أن الجر إذا كان بسبب الإسراع لا يدخل في النهي، فيشعر بأن النهي يختص بما كان للخيلاء لكن لا حجة فيه لمن قصر النهي على ما كان للخيلاء حتى أجاز لبس القميص الذي ينجر على الأرض لطوله كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

غير أن هنا مسألة يجب التفطن لها والتنبيه عليها وهي أن الإسبال نفسه مظنة المخيلة، وباب من أبوابها فحسم الشارع الحكيم مادتها، وصار ذلك حكماً عاماً حتى لا تترك المسألة للأهواء.

قال ابن حجر: ويتجه المنع أيضا في الإسبال من جهة أخرى وهي كونه مظنة الخيلاء قال ابن العربي: لا يجوز للرجل أن يجاوز بثوبه كعبه ويقول: لا أجره خيلاء، لأن النهي قد تناوله لفظا ولا يجوز لمن تناوله اللفظ حكمًا أن يقول: لا أمتثله، لأن تلك العلة ليست فيّ، فإنها دعوى غير مسلمة، بل إطالته ذيله دالة على تكبره. وحاصله: أن الإسبال

يستلزم جر الثوب وجر الثوب يستلزم الخيلاء ولو لم يقصد اللابس الخيلاء.

كما يجب التفطن إلى أنه لا فرق بين الإزار والقميص والسراويل فالإسبال في كل ذلك واحد.

سئل سالم بن عبد الله بن عمر عما جاء في إسبال الإزار أذلك في الإزار خاصة فقال بلى في القميص والإزار والرداء والعمامة.

قال شيخ الإسلام: طول القميص والسراويل وسائر اللباس إذا تعدى ليس له أن يجعل ذلك أسفل من الكعبين كما جاءت بذلك الأحاديث الثابتة عن النبي وقال: الإسبال في السراويل والإزار والقميص، يعنى نهى عن الإسبال.

قال ابن حجر:وقال الطبري: إنما ورد الخبر بلفظ الإزار لأن أكثر الناس في عهده كانوا يلبسون الإزار والأردية، فلما لبس الناس القميص والدراريع كان حكمها حكم الإزار في النهي قال ابن بطال: هذا قياس صحيح لو لم يأت النص بالثوب فإنه يشمل جميع ذلك.

وعن يزيد بن أبي سمية قال: سمعت ابن عمر فيما قال رسول الله ﷺ في الإزار فهو في القميص يعني ما تحت الكعبين من القميص في النار كما قال في الإزار.

بل إن كثيراً من العلماء أدخل الأكمام والعمامة وكل ما يلبس في ذلك، ومنع فيه الإسبال.

قال الصنعاني: وكذا تطويل أكمام القميص زيادة على المعتاد كما يفعله بعض أهل الحجاز إسبال محرم، وقد نقل القاضي عياض عن العلماء كراهة كل ما زاد على العادة وعلى المعتاد في اللباس من الطول والسعة. قلت: وينبغي أن يراد في المعتاد ما كان في عصر النبوة.

وبعد؛ فإن تعجب فعجب من رجال ونساء أبوا إلا مخالفة هدي نبيهم وترك سنته ومخالفة أمره ﷺ، من إسبال الرجال لأثوابهم وقد أُمروا بالتشمير، وتشمير بعض النساء عن سوقهن وقد أمرن بإسبال ذيولهن ذراعاً، أفلا يخاف أولئك الوعيد الشديد والتهديد الأكيد الذي توعد الله تعالى به، وهو أصدق القائلين: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، قال الإمام أحمد: (الفتنة الشرك، لعله إن ترك بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك).

وإليك هذا الأثر من الصدر الأول لهذه الأمة لتقفو أثر القوم وتتبع هديهم في سرعة استجابتهم وامتثالهم وطاعتهم، وعدم تكبرهم ومجادلتهم.

عن جبير بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم أنه كان جالسًا مع ابن عمر إذ مر فتى شاب عليه جُبّة صنعانية يجرها مسبلاً قال: يا فتى هلم، قال له الفتى: ما حاجتك يا أبا عبد الرحمن قال: ويحك أتحب أن ينظر الله إليك يوم القيامة قال: سبحان الله وما يمنعني أن لا أحب ذلك؟ قال :سمعت رسول الله ﷺ؟ يقول: لا ينظر الله إلى عبد يوم القيامة يجر إزاره خيلاء قال: فلم ير ذلك الشاب بعد ذلك اليوم إلا مشمرا حتى مات.

قال القرطبي رحمه الله: فما بال رجال يرسلون أذيالهم ويطيلون ثيابهم ثم يتكلفون رفعها بأيديهم وهذه حالة الكبر وقائدة العجب وأشد ما في الأمر أنهم يعصون وينجسون ويلحقون أنفسهم بمن لم يجعل الله معه غيره ولا ألحق به سواه، قال النبي ﷺ: «لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء» ولفظ الصحيح: «من جر إزاره خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة». قال أبو بكر: يا رسول الله إن أحد شقي إزاري يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه؟ قال رسول الله ﷺ لست ممن يصنعه خيلاء فعم رسول الله ﷺ بالنهي واستثنى الصديق فأراد الأدنياء إلحاق أنفسهم بالرفعاء وليس ذلك لهم.

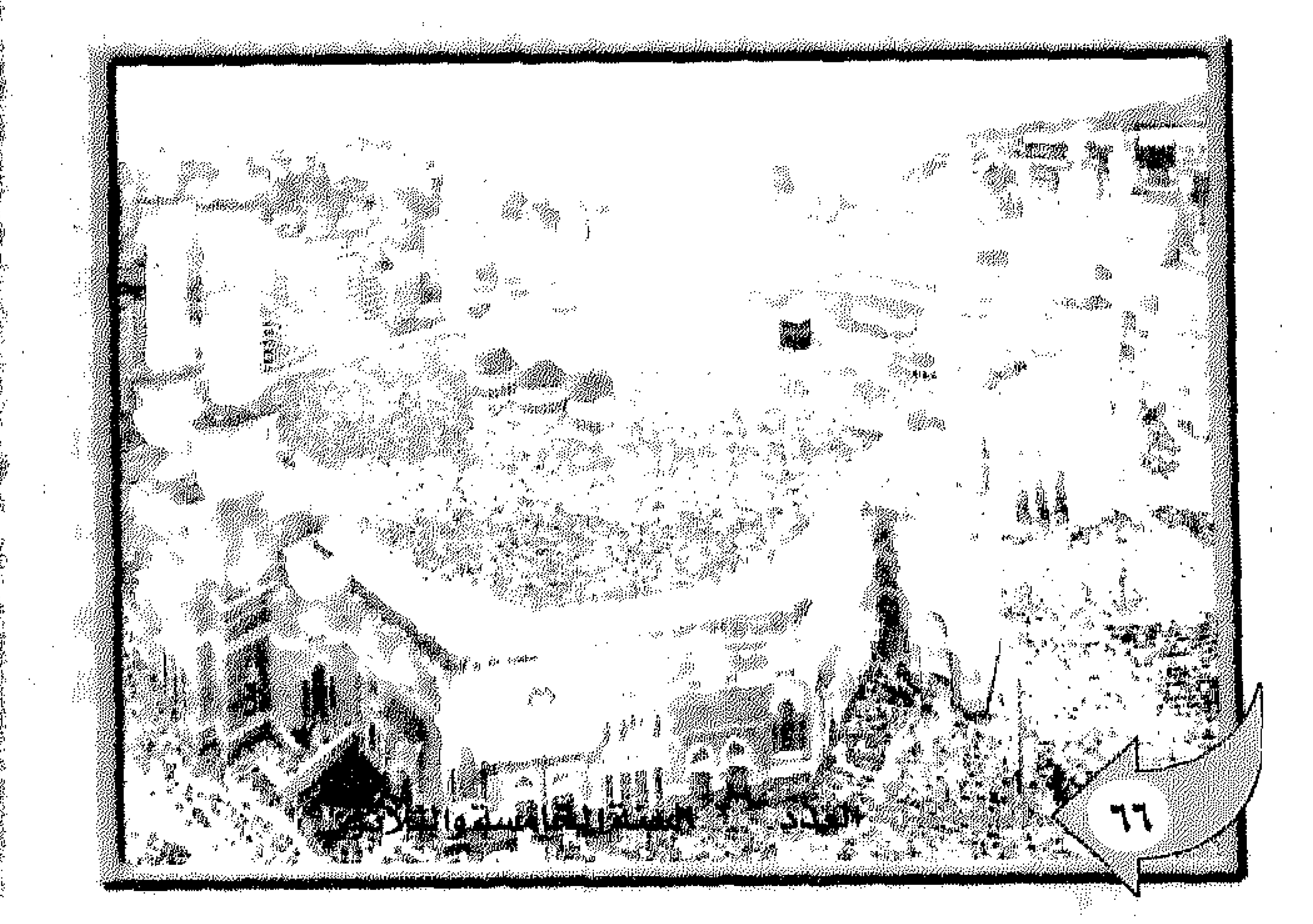


إعداد

سعيد عامر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله ومن والاه. أما بعد:

فقد سبق الحديث عن الأحكام الخاصة بالهدي والأضاحي والفدية والعقيقة، وإليك الأحكام الخاصة بالوليمة.



٥- أحكام الوليمة:

أولا: تعريفها:

الوليمة: طعامُ العُرْس، أو كُلُّ طعام صُنِعَ لدعوةٍ وغيرها. القاموس المحيط، للفيروز آبادي (ص١٩٠٢).

ثانيا: حكمها: جمهور العلماء على أن الوليمة سنة مؤكدة، وهو مشهور مذهب المالكية، والحنابلة، وبعض الشافعية.

ثالثا: حكمة مشروعيتها:

الإسلام دين المحبة والمودة والإخاء، دين الترابط والتكاتف والتعاون والتراحم، يحث على كل ما يحقق هذه الأهداف السامية، ويرغب في الوسائل المؤدية إليها، وأهم هذه الركائز إطعام الطعام، وقد عبر الحديث الصحيح أوضح تعبير عن هذه الوسيلة حين سئل ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف».

والدعوة إلى الوليمة تجمع الأمرين: السلام والطعام، والإجابة إليها تجمع الأمرين: السلام والطعام، وقد شرع الإسلام الدعوة إلى الطعام في كل وقت بصفة عامة، وزادها تأكيدًا في مناسبات خاصة، وجعلها أساسًا من أسس إشهار النكاح وإعلانه، فكانت وليمة العرس، ومن بعدها وليمة الولادة «العقيقة»، وعند كل فرح وسرور ونعمة كبرى.

وأمر الرسول ﷺ من يدعى إلى ضيافة من هذه الضيافات أن يجيب، وليعلم أن ما بعث الداعي إلى الدعوة إلا صدق المحبة والسرور بحضور المدعو، والتحبب إليه بالمؤاكلة، وإقامة الطعام كعهد أمان بينهما.

رابعا: وقت الوليمة:

اختلف السلف في وقت الوليمة، هل هو عند العقد، أو عقبه، أو عند الدخول، أو عقبه، أو من ابتداء العقد إلى انتهاء الدخول؟

قال الإمام النووي: اختلفوا، فحكى القاضي عياض أن الأصح عند المالكية استحبابها بعد الدخول. قال السبكي: والمنقول من فعل النبي ﷺ أنها بعد الدخول.

روى البخاري والبيهقي من حديث أنس رضي الله عنه قال: بنى رسول الله ﷺ بامرأة فأرسلني، فدعوت رجالاً على الطعام.

وروى البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: أقام النبي ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يبنى بصفية فدعوت المسلمين إلى وليمته.

خامسا: إجابة الدعوة:

جمهور العلماء على أن إجابة الدعوة إلى الوليمة واجبة وجوبًا عينيًا عند المالكية والشافعية والحنابلة حيث لا عذر من نحو برد وحر وشغل.

روى مسلم وغيره من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دُعي أحدكُم إلى الوليمة فليأتها». وفي رواية: «فليجب». وفي رواية: «إذا دعي أحدكم إلى وليمة عُرس فليجب».

وفي الحديث المتفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «إذا دعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها عرسًا كان أو نحوه». «ومن لم يجب الدعوة، فقد عصى اللهَ ورسوله».

وفيه دليل على وجوب الإجابة لأن العصيان لا يطلق إلا على ترك الواجب. راجع الفتح.

ونقل القاضي عياض: اتفاق العلماء على وجوب الإجابة في وليمة العرس. قال: واختلفوا فيما سواها.

فقال مالك والجمهور: لا تجب الإجابة إليها (أي الولائم غير وليمة العرس)، وقال أهل الظاهر: تجب الإجابة لكل دعوة من عرس وغيره، وبه قال بعض السلف. فتح المنعم (٥٦٩/٩).

وإذا دعي وكان صائمًا فيجب أن يجيب، روى مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دُعي أحدكم فليجب، فإن كان صائمًا فَلْيُصَلِّ، وإن كان مفطرًا فَلْيَطْعَمْ». ومعنى: «فليصل» أي فليدع، فالمقصود بالصلاة هنا الدعاء.

والصائم لا يجب عليه الأكل، لكن فإن كان صومه فرضًا لم يجز له الأكل لأن الفرض لا يجوز الخروج منه.

وإن كان نفلاً جاز له الفطر وتركه، والبعض قال باستحباب الفطر على رأي من يُجوِّز الخروج من صوم النفل، وخاصة إذا ألَحَّ عليه الداعي. ويؤيد ذلك ما رواه مسلم وأحمد وغيرهما: «إذا دُعي أحدكم إلى طعام فليُجب، فإن شاء طَعِم، وإن شاء ترك».

وروى الطيالسي والطبراني في الأوسط عن أبي سعيد، قال: دعا رجل إلى طعام، فقال رجل: إني صائم، فقال النبي ﷺ: «دعاكم أخوكم وتكلف لكم، أفطر وصم يومًا مكانه إن شئت».

وروى النسائي والحاكم والبيهقي والحديث صحيح الإسناد «الصائم المتطوع أمير نفسه، إن شاء صام، وإن شاء أفطر» ولا يجب قضاء يوم النفل.

ويستحب لمن حضر الدعوة الدعاء لصاحب الدعوة، والسلام عليهم:

روى أحمد وأبو داود والبيهقي من حديث أنس أن رسول الله ﷺ كان يزور الأنصار فأتى إلى باب سعد بن عبادة، فقال: السلام عليكم ورحمة اللّه، ثم أدخله البيت، فقرب له زبيبًا، فأكل نبي اللّه ﷺ فلما فرغ قال: «أكل طَعَامَكُم الأبْرَارُ، وصلت عليكم الملائكةُ، وأفطرَ عندكمُ الصائمون».

وروى مسلم وأبو داود من حديث عبد اللّه بن بسر أن أباه صنع للنبي ﷺ طعامًا فدعاه، فأجابه، فلما فرغ من طعامه قال: «اللهم اغفر لهم، وارحمهم، وبارك لهم فيما رزقتهم».

وروى مسلم وأحمد من حديث المقداد بن الأسود، وفيه: «اللهم أطعم من أطعمني، وأسق من سقاني».

وروى الطبراني بسند حسن: «اللهم بارك فيهما وبارك لهما في بنائهما».

وروى أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي والألباني، وفيه: «بارك الله لك، وبارك الله عليك، وجمع بينكما في خير - على خير».

-تكره إجابةُ من كان ماله حرامًا، كما يكره قبول هديته وهبته وصدقته، وتقوى الكراهة وتضعف بحسب كثرة الحرام وقلته.

-إن كان المكان فيه منكر من معازف أو خمر، فلا يجوز حضور الدعوة إذا اشتملت على معصية، إلا أن يقصدَ إنكارَها ومحاولةَ إزالتِها، وإن لم يقدر على إزالتها لا يحضر.

قال الإمام الأوزاعي: لا ندخل وليمة فيها طبل ولا معازف.

وكذلك لو كان في الموضع ستائر بها تصاوير ذوات الأرواح أو كانت منقوشة على الحائط.

روى البيهقي وسنده صحيح من حديث أبي مسعود عقبة بن عمرو أن رجلاً صنع له طعامًا، فدعاه، فقال: أفي البيت صورة؟ قال: نعم، فأبى أن يدخل حتى كسر الصورة، ثم دخل.

سادسا: الأعذار المبيحة لعدم الحضور:

أ- العذر الذي يبيح التخلف عن الجمعة: مثل كثرة المطر، أو خوف على مال، أو مرض، أو تمريض قريب ونحوها يبيح التخلف عن الوليمة.

د- تخصيص الأغنياء بالدعوة:

لا يجوز أن يخص بالدعوة الأغنياء دون الفقراء، روى مسلم وغيره من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «شرُّ الطعام طعامُ الوليمة، يُمنعها من يأتيها ويُدعى إليها من يأباها، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله». وفي رواية: «بئس الطعام طعام الوليمة يُدعى إليه الأغنياء ويُترك المساكين».

ومن ذلك أخذ بعض العلماء أن دعوة الأغنياء دون الفقراء عذر في عدم الحضور، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا خص الغني وترك الفقير أمرنا أن لا نجيب».

قال ابن بطال: إذا ميز الداعي بين الأغنياء والفقراء، فأطعم كلا على حدة لم يكن به بأس، وقد فعله ابن عمر. انظر فتح المنعم (٥/٥٧٠).

ويستحب مشاركة الأغنياء بمالهم في الوليمة «من كان عنده شيء فليجيء به»، «من كان عنده فضل زاد فليأتنا به» متفق عليه.

سابعا: جواز الوليمة بغير لحم:

يجوز أن تؤدى الوليمة بأي طعام تيسر، ولو لم يكن فيه لحم، لحديث أنس، وقد سبق «أقام النبي ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاث ليالي يبنى عليه بصفية، فدعوت المسلمين إلى وليمته، وما كان فيها من خبز ولا لحم، وما كان فيها إلا أن أمر بالأنطاع فبُسطت. (وفي رواية: فحصت الأرض أفاحيص، وجيء بالأنطاع فوضعت فيها، فألقى عليها التمر والأقط والسمن فشبع الناس». البخاري (٣٨٧/٧)، انظر آداب الزفاف (ص٤٢).

والأنطاع: جمع نطع، وهو بساط متخذ من الأديم وهو الجلد المدبوغ.

أفاحيص: جمع أفحوص القطاة، وهو موضعها الذي تجثم فيه وتبيض كأنها تفحص عند التراب: أي تكشفه.

والحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا على إمام الأنبياء.

عزاء واجب

تحتسب أسرة مجلة التوحيد عند الله تعالى زوجة الشيخ / متولي البراجيلي، وتدعو المولى تبارك وتعالى أن يغفر لها ويرحمها، وأن يلهم أهلها الصبر.

أسرة التحرير

وقفات شرعية مع حادثة العبارة المصرية

إعداد
أحمد السيد إبراهيم

فوجئ العالم بكارثة إنسانية صبيحة يوم الجمعة ٢٠٠٦/٢/٣م، تمثلت في غرق العبارة السلام ٩٨، وقد تناقلت وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة هذا النبأ الأليم، وأطلت علينا الكثير من التحليلات عن حكم هؤلاء الغرقى وأسباب الكارثة، ولنا معها الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: حكم هؤلاء الغرقى

لا يشك أحد في أن الغريق شهيد، وذلك ثابت فيما صح عن النبي ﷺ، فقد ذكر الغريق وذكر أنه شهيد في أكثر من حديث، منها ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله».

[أخرجه البخاري ومسلم]

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الغريق شهيد».

[رواه ابن عساكر في تاريخه، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤١٧٢]

ولكن لابد أن نوضح الحقائق الآتية عن الشهادة:

١- الشهداء ثلاثة:

قال النووي في المجموع (٢٢٥/٥): الشهداء ثلاثة أقسام: أحدها: شهيد في حكم الدنيا: أي يعامَل في الدنيا معاملة الهشيد «وحكمه ترك الغسل والصلاة عليه» وفي حكم الآخرة بمعنى أن له ثوابًا خاصًا، وهم أحياء عند ربهم يرزقون وهذا هو الذي مات بسبب من أسباب قتال الكفار قبل انقضاء الحرب. والثاني: شهيد في الآخرة دون الدنيا، وهو المبطون والمطعون والغريق وأشباههم. والثالث: شهيد في الدنيا دون الآخرة وهو المقتول في حرب الكفار وقد

غل من الغنيمة أو قتل مدبرًا، أو قاتل رياءً ونحوه فلهم حكم الشهداء في الدنيا دون الآخرة. اهـ.

فالغريق يُغسل ويُكفن ويُصلى عليه، أي لا تجرى عليه أحكام الشهادة في الدنيا وإنما تجرى عليه في الآخرة فقط.

٢- ضوابط الحكم بالشهادة:

لكي يحكم لشخص بالشهادة فلابد من أمرين:

الأول: الإسلام، فلا يحكم بالشهادة لكافر، فلو غرق كافر فلا يقال عنه شهيد، قال تعالى حاكيًا عن فرعون: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٠- ٩٢].

الثاني: الطاعة: فلا يحكم لمن مات متلبسًا بالمعصية وقد تحقق فيه سبب من أسباب الشهادة كالغريق مثلاً بالشهادة فإذا صحب رجل امرأة ليزني بها فسقطت سيارته في البحر فمات الاثنان فلا يقال عنهما شهداء؛ لقوله ﷺ: «ثم يبعثون على نياتهم».

[رواه البخاري ومسلم]

ورأي بعض العلماء أن من مات في معصية بسبب من أسباب الشهادة فله أجر شهادته وعليه إثم معصيته.

٣- الحكم بالشهادة لشخص بعينه:

إذا كان الغريق شهيدًا فهل يجوز الحكم لشخص بعينه كمحمد أو أحمد مثلاً بالشهادة لمجرد أنه مات غريقًا ؟ الجواب على ذلك أنه لا يقال فلان شهيد وإنما يقال نحسبه من الشهداء والله حسيبه، فمن مات في المعركة ربما قاتل رياءً أو سمعة، فلا يقال عنه شهيد، وقد بين النبي ﷺ أن الرجل الذي قتل في المعركة في النار، وذلك لأنه تعجل الشهادة فوضع نصل السيف على صدره وقتل نفسه، ولذلك بين العلماء أن من أقسام الشهادة شهيد الدنيا أي يظنه الناس شهيدًا وهو ليس كذلك، والعلة في عدم قولنا فلان شهيد أنه أمر غيبي لا يطلع عليه أحد فلا يُجزم به.

٤- هل يلزم لشهادة الغريق أن يكون ركوبه البحر في سبيل الله؟

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: الغريق في سبيل الله شهيد.

[البخاري في التاريخ وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٤١٧٣]

الراجح أنه لا يلزم أن يكون ركوبه البحر في سبيل الله أي مجاهدًا بل تحمل في سبيل الله على الإسلام.

قال السندي رحمه الله: المراد بسبيل الله في الأول أي قوله ﷺ: «المقتول في سبيل الله شهيد» أي في الجهاد، وفي غيره هو المتبادر أيضًا فإنه المراد عرفًا من مطلق هذا الاسم، لكن مقتضى الأحاديث المطلقة خلافه فيحتمل أن يراد به الإسلام توفيقًا بين هذه الأحاديث وبين الأحاديث المطلقة.

الوقفة الثانية: أحكام المفقود

انقسم ركاب العبارة إلى ثلاثة أقسام:

١- أحياء تم إنقاذهم.

٢- موتى تم إيجاد جثثهم.

٣- مفقودين لم يتم العثور عليهم.

فما حكم المفقودين الذين لم يعثر عليهم ؟ نتعرض لحكمهم في النقاط التالية:

١- المدة التي يحكم بعدها القاضي بموت المفقود:

اختلف الفقهاء في المدة التي يحكم بعدها القاضي بموت المفقود على عدة أقوال، وقد

أخذ القانون المصري بمذهبي المالكية والحنابلة في حالة المفقود الذي فُقد في أحوال يغلب عليه الهلاك فيها كالحروب والغرق والحرق، فقضى بوفاته بمضي أربع سنوات من تاريخ فقده، وأخذ بمذهبي الحنفية والشافعية في حالة فقده في ظروف لا يغلب عليه فيها الهلاك فقضى بتفويض أمر المدة التي يحكم بموت المفقود بعدها إلى القاضي وذلك بعد التحري عند جميع الطرق الممكنة الموصلة إلى معرفة إن كان المفقود حيًا أو ميتًا.

وقد تم الموافقة على تعديل هذه المدة إلى سنة، ثم تم تعديلها بعد حادثة العبارة لتصبح (١٥) يومًا، وذلك لصرف التعويضات لورثة المفقودين دون المساس بالمدة الأصلية الخاصة بزوجته وميراثه.

٢ـ حكم زوجة المفقود:

إذا غاب المفقود أربع سنوات في ظروف يغلب عليه فيها الهلاك فإن القاضي يحكم بموته، وكذا يحكم بموته إذا مات في ظروف لا يغلب عليه فيها الهلاك بعد مرور المدة التي يراها القاضي مناسبة للتأكد من موته.

وفي هذه الحالة فإن لزوجته أن تتزوج بغيره بشرط أن تعتد عدة المتوفى عنها زوجها «أربعة أشهر وعشرة أيام»، ويرى البعض أنها لا تعتد، فإذا عاد زوجها المفقود فإنه يخير بين أمرين أن تعود إليه أو أن يأخذ صداقها، (قيل الذي أصدقه إياها وقيل بل صداق الزوج الآخر، وقالوا فيمن يغرم الصداق إن اختاره الزوج يغرمه الزوج الآخر، وهو قول الجمهور وقيل تغرمه المرأة وهو قول الزهري، ودليل ما ذكرنا ما جاء عن حماد بن سلمة عن داود عن أبي هند عن أبي نضرة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن امرأة فقدت زوجها فأتت عمر فسأل جيرانها وقومها فصدقوها فقال لها: اعتدي أربع سنين وتزوجي، فجاء زوجها بذلك فخيره عمر بين الصداق وبين امرأته.

[ابن حزم في المحلى ١٠/١٣٤، وصححه]

٣ـ حكم مال المفقود:

١ ـ يرى الفقهاء أنه يعتبر حيًا فتبقى الأموال موقوفة محفوظة إلى أن تنكشف حقيقة أمره بما يلي:

أ- أن تقوم بينة على موته فيعتبر ميتًا من هذا الوقت الذي حددته البينة وينتقل ماله إلى من كان حيًا من ورثته في ذلك الوقت.

ب- أن يحكم القاضي بموته فيعتبر ميتًا من وقت حكم القاضي بموته، ولا يرثه إلا من كان باقيًا على قيد الحياة، وقت الحكم دون من مات قبل ذلك، ثم إذا ظهر حيًا بعد حكم القاضي فإنه يأخذ ما بقي من أمواله في أيدي الورثة.

٤ـ فيما يتعلق بإرثه من غيره:

أ- إن كان المفقود هو الوارث الوحيد لمن مات من أقاربه أثناء فترة الفقد أو معه ورثة محجوبون به فإنه توقف التركة كلها حتى يظهر أمره، فإن ظهر حيًا أخذ ما يستحقه وإن ظهر ميتًا ردت التركة إلى بيت المال في حالة عدم وجود ورثة أو إلى الورثة الآخرين الذين كانوا محجوبين بوجوده حيًا.

ب- إن كان معه ورثة غير محجوبين به فإنه يوقف نصيبه الذي يستحقه حتى يتبين حاله، ويأخذ بقية الورثة أنصبتهم، فإن ظهر حيًا أخذ نصيبه الموقوف، وإن ثبت موته بالبينة اعتبر ميتًا من الوقت الذي ثبتت فيه وفاته فلا يرث إلا من مات قبله، أما من مات بعده فلا يرث منه، وعليه يرد حينئذ ما كان

موقوفًا له إلى الورثة الذين نقصت سهامهم لهذا الاعتبار، أما إن حكم القاضي بموته فإنه يعتبر ميتًا من وقت فقده لا من وقت الحكم، فلا يرث ممن مات أثناء غيابه وفقده وقبل الحكم بموته، ويرد النصيب الموقوف له إلى ورثة مورثه، فإن ظهر حيًا بعد الحكم بموته أخذ ما بقي من ماله بأيدي الورثة الذين وزع عليهم.

الوقفة الثالثة: الأسباب التي أدت إلى هذه الكارثة:

١- عدم الشعور بالمسئولية:

فقد انعدم الشعور بالمسئولية لدى كثير من المسلمين، فنجد بعض المسلمين يقوم باستيراد آلات ومعدات غير مطابقة للمواصفات وهو يعلم ذلك، ويعلم أنها قد تؤدي لوفاة مستخدمها ولا يشعر بأنه مسئول أمام الله عن ذلك؛ لأن همه الأكبر الربح، وكذلك الحال بالنسبة لمن يقوم بتسيير مركبة أو سفينة أو طائرة وهو يعلم أنها غير صالحة فهذا تغافل ونسي قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٣]، وقوله ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته». [أخرجه البخاري]

٢- تفشي الرشوة:

الراشي والمرتشي أفسدا البلاد والعباد، واستحقا الوعيد الوارد في قوله ﷺ: «لعنة الله على الراشي والمرتشي». [أخرجه ابن ماجه وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم ٢٣١٣]

فبالرشوة تتحول الأشياء الفاسدة إلى صالحة للاستخدام ويترتب على هذا التغيير هلاك البلاد والعباد.

٣- عدم محبة بعض المسلمين لإخوانهم ما يحبون لأنفسهم:

وفي الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». [متفق عليه]. فلو وضع الواحد منا نفسه مكان أخيه لانتهى كثير منا عن فعل ما يؤذي المسلمين أو يؤدي إلى هلاكهم.

الوقفة الرابعة: الدروس المستفادة من الكارثة:

١- لكل أجل كتاب. فقد جاء بإحدى الصحف المصرية أن رجلاً تم إنقاذه من الغرق عام ١٩٩١م حيث كان من بين ركاب العبارة سالم إكسبريس، فهذا ما يزال له عمر لابد أن يستوفيه، فلكل أجل كتاب.

٢- ضرورة تعليم أولادنا السباحة:

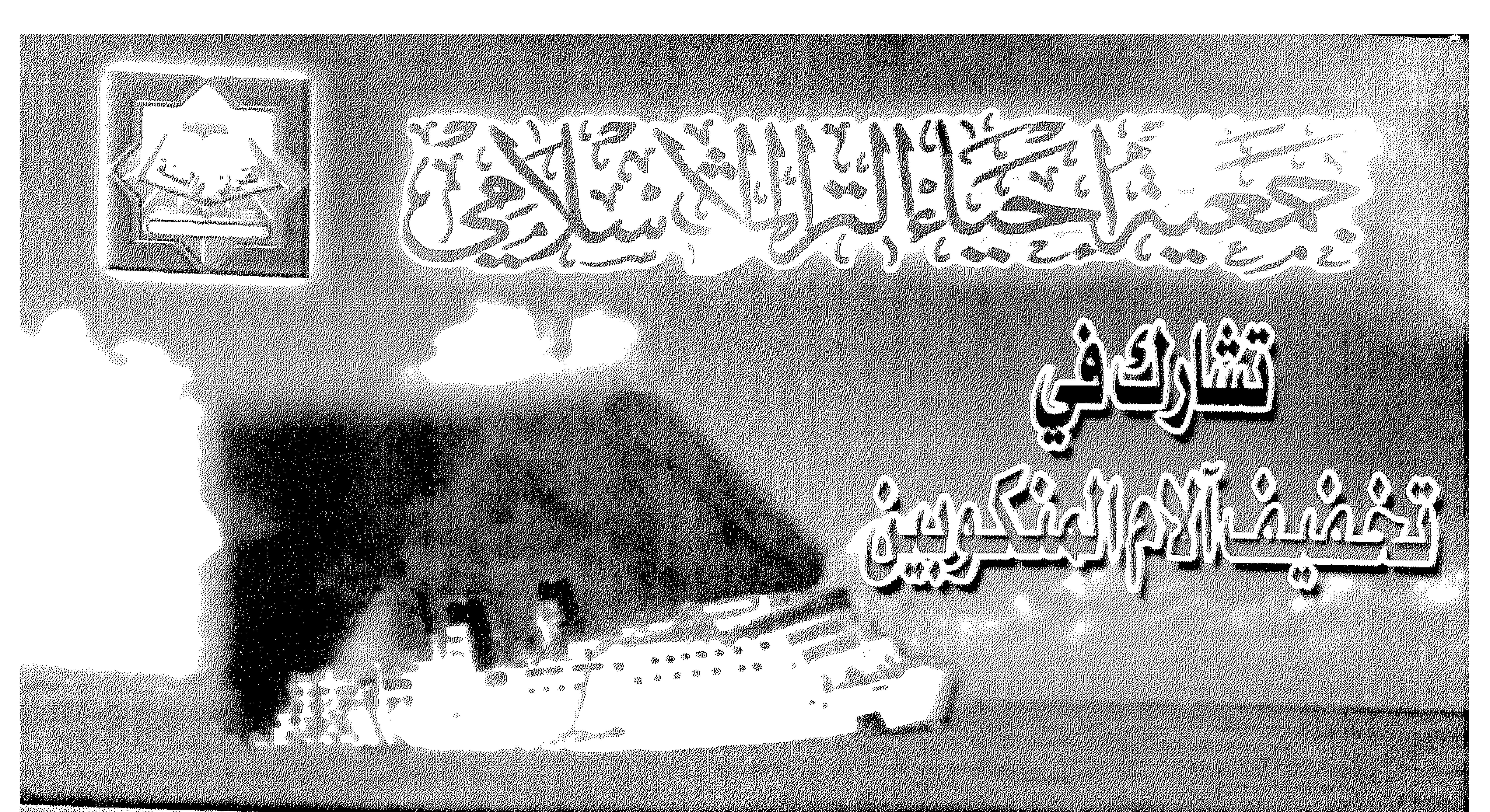
حيث ورد في الأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل». وهي من قبيل الأخذ بالأسباب.

٣- وما تدري نفس بأي أرض تموت: فمن الركاب من كان قبره في السفينة، ومنهم من التهمه حوتٌ أو سمكة قرش فصار في بطنها، وإذا جاء وعد الآخرة جاء الله بهم لفيفًا.

٤- الصبر على المصائب والاستعداد ليوم الرحيل: قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

٥- محاسبة المقصرين: ولا ينافي هذا الرضا بقضاء الله تعالى، فالمسلم ينقاد لأمر الله ويسلم له ولا يمنع هذا من محاسبة من أخطأ أو من تعمد الخطأ.

وفي النهاية لا نملك إلا الدعاء أن يرحم الله من مات ويجعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وأن يجنبنا وسائر المسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن. آمين.

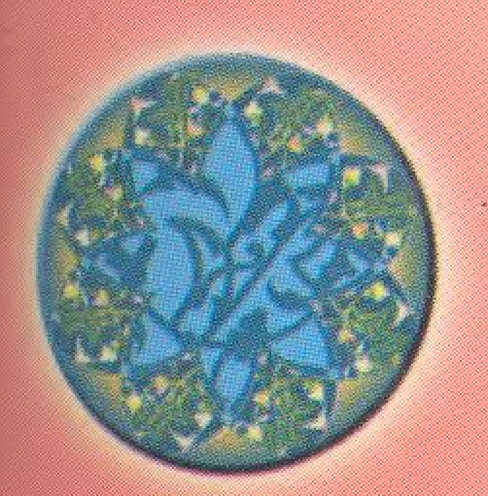


شكر وتقدير

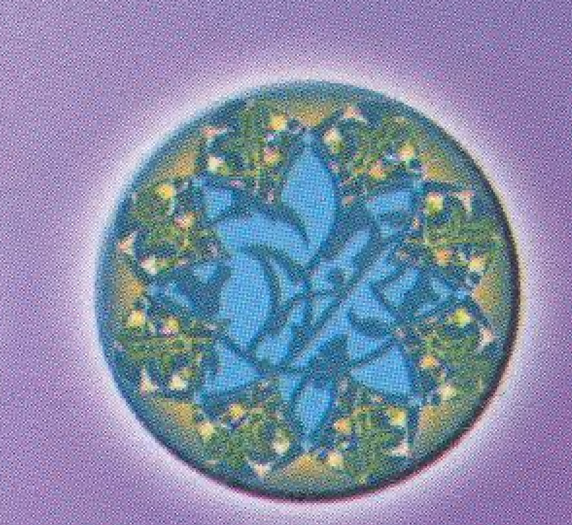
إلى صاحب الأيادي البيضاء الأستاذ الدكتور/ علاء خليل أستاذ الجراحة بجامعة الزقازيق وطاقم الأطباء والمعاونين بالمجموعة (ب) بمستشفى الجراحة، على المجهود الفني والعناية الفائقة بشقيقة رئيس التحرير.

فجزاكم الله خير الجزاء

رئيس التحرير



دعوة للمشاركة



صدقة جارية، علم ينتفع به

بادر أخي المسلم وأختي المسلمة

بالمشاركة بجزء من مالك ومن الزكوات أو الصدقات لنشر التوحيد عبر مجلة التوحيد من خلال المشاركة في الأعمال التالية:

طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجانًا تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشا يطبع من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة. نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة وتجليدها بجمع أعداد السنة في مجلد واحد وذلك لعمل كرتونة كاملة ٣٤ سنة من المجلة. دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد. نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

كما يمكنك المشاركة ودعم ذلك بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد

نحن بانتظاركم

